السبت 25 أيار 2019
العدد 3766 السنة الثالثة عشرة
samedi 25 Mai 2019 no 3766 13ème année

32 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

● أبو خليك القباني
دمشق التنوير

● السودان:
أرض الأساطير...
والأحلام الثورية

ترامب يرفع منسوب التوتّر مع إيران... وابتزاز الخليج [18]

«إنجاز» مشروع الموازنة: إخفاء الأوساخ تحت السجّادة!

600 مليار ليرة لإقفال «المهجّرين»! [4]

25 أيار
ولاح لنا الجليل على بُعد وردة*

[2 ـ 3، 22 ـ 23]

* إحالة إلى قصيدة مظفر النواب «الطريق إلى الجنوب» (الصورة لتوماس كواكس، من أرشيف «أف ب»، عند خط الحدود اللبنانية ــ الفلسطينية، يوم 25 أيار 2000)

تقرير

طلاب «اللبنانية» يناصرون جامعتهم: «بيتي أنا سلاحو»

6

سوريا

الحرائق و«الإدارة الذاتية» تنغّص آمال مزارعي الشمال

14

الحدث

تيريزا ماي... الرئيسة التي هزمها «بريكست»

20

25 أيار

عيد المقاومة والتحرير... ولاح لنا الجنوب على بعد وردة *

إنّه عيد الأمل بمواصلة التحرير!

**«ويكون ان يأتي
بعد انتحار الفحط في صوتي
شيء روائعه بلا حدّ
شيء يسقي في الاغاني
طائر الرعد»**

سميح القاسم

بيار أبي صعب

هذا العام، تحلّ ذكرى تحرير الجنوب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي يوم الخامس والعشرين من أيار، في ظروف وطنيّة وإقليميّة صعبة وحساسة. ولعل التحديات التي تشهدها المرحلة، إنما تعطي لـ«عيد المقاومة والتحرير» أهميّة مضاعفة، وبُعداً أرحب، على المستوى الوجداني والسياسي، الرمزي والاستراتيجي. هناك، بعد تسعة عشر عاماً، من يريد بأي ثمن تقويض تلك اللحظة البطوليّة التي مهّدت لإنجازات وانتصارات تاريخيّة لاحقة، فوق أرضنا، وعلى حدودنا، وفي العمق الاستراتيجي العربي... من يريد أن يمحو لحظة تاريخيّة قلبت موازين القوى في هذا الصراع الوجودي، المصيري الذي تخوضه شعوبنا منذ سبعة عقود ونيّف، من أجل إخضاع المسخ الاستعماري، وتحرير الأرض، واستعادة الكرامة والحقوق.

25 أيّار تتويج لكفاح مضن ومكلف، تخوضه شعوبنا في مواجهة عدوّ غاشم ودموي وعنصري ومتغطرس، أسّس كيانه على المجزرة، على الاستطيان والابارتهايد... علماً أن بعضهم قد انتظر عقوداً طويلة ليكتشف تلك الحقيقة مع إقرار «قانون الدولة اليهوديّة»، وبعضهم الآخر لم ينتبه حتّى الآن! 25 أيّار انتصار على الغرب الاستعماري المنحاز لقاتلنا، يحميه ويدعمه ويسلّحه ويطمس جرائمه ويبرّر مجازره ويشرعن سياساته الاجراميّة. وأخيراً، 25 أيّار، هزيمة لأنظمة الردّة والاستبداد والاستسلام في العالم العربي، وهي المسؤولة عن تكريس كذبة «التفوّق الإسرائيلي». تلك الأسطورة التي بدأت تتربّح في العام ألفين، قبل أن تتحطّم نهائيّاً في صيف 2006، تغذّت طويلاً من عجز الأنظمة العربية وضعفها وتخاذلها وتواطؤها مع الاحتلال. وها هي «إسرائيل» تحاول أن تستجمع حطامها، أن ترمم تصدّعاتها، مستقوية بإكسير الفتن الأهليّة في بلداننا، ومستجيرة بالخيانات العربيّة التي خرجت الأرض، والذين دحروا التكفيريين فعليّاً... وهناك من يواجه المناسبة بالإنكار والتجاهل، كأنّها لم تكن... فهل هؤلاء يفضلون الاحتلال الاسرائيلي؟ كلا طبعاً، باستثناء حفنة صغيرة من المتآمرين والعملاء والمرتزقة. الباقون رهائن عصبيات ومصالح، وحملات تجهيل وغسل دماغ، وضغوط استعماريّة، وأميّة وطنيّة، وجبن ربّما، أيّاً كانت رتبتهم أو منصبهم أو موقعهم من دائرة صناعة القرار. وإذا كان صحيحاً أن مقاومة الاحتلال في أي مكان أو زمان، لا تنتظر استفتاء شعبياً، ولا اجماع النخب المستلبة أو المنشغلة بتعزيز امتيازاتها، فإن مهمّة تحصين المجاهدين الذين قهروا «إسرائيل»، تمرّ اليوم ببناء، وعي وطني عابر للمناطق، خارج على المتاريس الفئوية، يلتفّ حول المقاومة ويحضنها ويحميها. المقاومة هي أيضاً مواجهة اختراق الوعي، وتعرية الخطاب التضليلي الذي يطمس جوهر الصراع، وفضح آليات الترويج لثقافة التنازل والاستسلام.

> **الانظار موجّهة إلى فلسطين المحتلة التي باتت على مرمى وردة من بنادق المقاومين**

الأنظمة التي استسلمت لإسرائيل، هي نفسها الأنظمة التي تستغل شعوبها، وتستعبد مواطنيها. ولبنان خير مثال على ذلك. إن النظام الطائفي العاجز عن مواجهة إسرائيل، هو النظام الفاسد نفسه الذي جوّع اللبنانيين، ويقودهم اليوم إلى الكارثة بخطىً واثقة. الشعب الذي قدّم الشهداء والمقاومين، مهدد بالفقر والحرمان. وعلى عاتق المقاومة قبل سواها، تقع مسؤوليّة تحرير الانسان، كما حرّرت الأرض. ومقاومة الظلم السياسي، مثلما قاومت ظلم الاحتلال ووحشيته. وفي المقابل، فإن النضال من أجل الحقوق الاجتماعيّة والمدنيّة، ومن أجل سير المجتمع نحو مزيد من العدالة والديمقراطيّة والتقدم، لا يستقيم، ولا يأخذ شرعيّته الوطنية، بل قد يستحيل تبعيّة مقنّعة، واستعراضاً سطحيّاً خطيراً لا نعرف وجهته، إذا لم يقم على مبدأ تأسيسي، هو أن إسرائيل عدو، وأن مقاومتها بكل الوسائل مسؤولية فردية وجماعية، دينيّة وعلمانيّة، أهليّة وحزبيّة، مدنيّة وسياسيّة.

25 أيّار تتويج لتضحيات وبطولات، بدأت مع المقاومة الوطنيّة، اليساريّة والقوميّة، ثم تواصلت وتوسّعت وتنامت مع مجاهدي المقاومة الاسلاميّة في لبنان الذين حطّموا أسطورة التفوق الاسرائيلي. بفضل هؤلاء، يتلطّى العدو الآن مذعوراً خلف خطوط الدفاع الخلفيّة، وينعزل أكثر فأكثر داخل الغيتو، محاطاً بالجدران والأسوار، محاولاً خسره في عقد الانتصارات العربيّة الحاسمة. أما المقاومة، فتقف اليوم في مواجهة الكابوي الأميركي الذي يظن أنه ما زال بوسعه اخضاع العالم. وهذا وحده دليل على صلابتها وقوّتها وشرعيّة نضالها. كل ما نشهده من حروب ليّنة، وحملات تضليل وتزوير عالميّة، ودسائس داخلية، واستراتيجيّة ابتزاز وحصار وعقوبات، ليس إلا محاولة يائسة للالتفاف على المقاومة، واضعافها، ومنعها من مواصلة كفاحها. وعند هذا المنعطف الصعب، على وقع طبول الحرب ضد إيران، تقرعها مجموعة من الأصوليين البيض المحيطين بالأبله السعيد في البيت الأبيض، نحتفل بصخب بـ«عيد المقاومة والتحرير». ونحتفي بتلك اللحظة المفصلية التي شهدت انهزام العدو، متنبهين إلى ضرورة صيانتها، وترسيخها، واستكمالها بشتّى الوسائل! اليوم في 25 أيّار نحتفل بالهزائم المقبلة لتلك الآلة الكونية الهائلة التي تحاول يائسة أن تحاصر حزب الله. نستعيد صور تحرير معتقل الخيام برمزيّته العالية، ونتخيّل تحريراً آخر «لا بدّ أن يأتي» في مستقبل قريب. إن تحرير تلال كفرشوبا ومزارع شبعا هو اليوم تحصيل حاصل. فالأنظار موجّهة إلى الأراضي المحتلة التي باتت على مرمى وردة من بنادق المقاومين. وبتنا نرنو إلى اللحظة التي سنحتفل فيها بتحرير كامل تراب فلسطين. 25 أيار هو عيد الأمل بمواصلة المقاومة والتحرير!

في الأرض المحررة، يوم 24 أيار 2000 (أ ف ب)

المقاومة تعيد انتاج «الوعي الجمعي»: اسرائيل تكتشف حدود قوتها

علي حيدر

بعد مضي 19 عاما على تحرير الشريط الحدودي الجنوبي من الاحتلال الإسرائيلي (25 أيار 2000)، باتت نتائج هذا التحرير وتداعياته الاستراتيجية والتاريخية، أكثر تألقا. فالحديث عن محطة مفصلية في لحظة تشكلها يختلف جذرياً عن الحديث عنها بعد تبلور مفاعيلها وردود الفعل عليها. وكلما امتد الزمن الفاصل عن موعد أي محطة تاريخية، ترتفع معها امكانية خفوت الكثير من أبعادها ورسائلها المتصلة بسياقاتها والظروف المحيطة. إلا اذا بقي من يحرص على أن تبقى حاضرة في وعي الناس وادبياتهم. لكن خصوصية التحرير أنه شكّل ايضا محطة تأسيسية في حاضر لبنان ومستقبله، وغيّر مسار التاريخ في المنطقة. شكّل تحرير الاراضي اللبنانية المحتلة تتويجاً لمسار أسقط أهداف الاجتياح الاسرائيلي في العام 1982، وساهم، مع انتصار العام 2006، في اعادة صياغة وعي قادة اسرائيل، لجهة إدراكهم حدود قوتها ونظرتها الى ذاتها والى الآخر المعادي. والأهم أنه ايضا أحدث تحولاً في نظرة اللبنانيين الى مقاومتهم التي غيّرت معادلات الصراع وواجهت باقل الامكانات وأصعب الظروف، قوة اقليمية عظمى تشكل تهديدا وجوديا لهم.

تجاوزت مفاعيل التحرير من كونه اخراجا للاحتلال من مساحات جغرافية محددة، الى اخراج اسرائيل (بالمعنى المباشر) من المعادلة الداخلية في لبنان (تعزّز هذا الجانب لاحقاً بانتصار العام 2006). ونجحت المقاومة في هذه المهمة بعدما حولت الاحتلال الى مشكلة داخلية اسرائيلية، تطور الى ضغط متصاعد على القيادة الاسرائيلية من أجل الخروج من المستنقع اللبناني.

لم يتبلور هذا الواقع، إلا بعد عدد من المحطات والمراحل والمواجهات المتعددة التكتيكات والاساليب. ومن أبرز ما تميز به حزب الله في هذا السياق، أنه أبدع تكتيكاً صاروخياً حوّل بموجبه الاحتلال لمنطقة الشريط الحدودي الى عبء على مستوطنات شمال فلسطين المحتلة، بدلا من أن يكون حزاما أمنياً لها. ونجح من خلال فرض معادلة الصواريخ التي كانت تنهال على المستوطنات رداً على استهداف المدنيين والعمق اللبناني، إلى تحويلها الى قيد اضافي على صانع القرار السياسي والأمني. واضطرت القيادة الاسرائيلية، بعد فشل جيش الاحتلال في كسره (القيد) خلال عدوانَي 1993 و1996، إلى الالتزام بالمعادلات التي فرضها حزب الله. وهو ما وفر للمقاومة المظلة التي مكّنتها من مواصلة عملياتها، وصولا الى تبلور قرار الانسحاب من لبنان.

تحول في وعي القادة الاسرائيليين تميّزت مرحلة المقاومة ضد الاحتلال في منطقة الحزام الامني، بأكثر من بُعد، من ضمنها ضيق المساحة الجغرافية وطبيعة تضاريسها، وهو ما وفر الارضية لجيش العدو للاستفادة من هذه الميزة، بما يساهم في تقليص خسائره البشرية. في نفس الاطار، شكلت عصابات انطوان لحد أكياس رمل لجيش الاحتلال، وهو ما وفر عليه الكثير من الخسائر البشرية، الأمر الذي ساهم في اطالة امد الاحتلال. ومن مزايا الأراضي التي كانت محتلة أنها ملاصقة لحدود فلسطين، وهو ما اضفى عليها بعداً استراتيجيا اضافياً يتصل بالعمق الاسرائيلي. واستنادا الى هذه الخصوصية يمكن فهم منسوب التمسك الاسرائيلي باستمرار احتلال هذه المنطقة، والاصرار على عدم التخلي عنها من دون أثمان سياسية وأمنية كان العدو يراهن على انتزاعها من لبنان، الى أن اضطر للانحدار خارجاً.

في ضوء هذه الخصوصيات لم يكن قرار الانسحاب من لبنان ليتبلور في تل ابيب إلا بعد تحولات داخلية جذرية في وعي صناع القرار في تل ابيب، وهو ما تطور تدريجياً، تحت ضغط المقاومة. ونجح حزب الله في تحقيق هذا الانجاز عبر إسقاط الرهان على الجمع بين الاحتلال والامن. ثم تطور هذا التحول الى «وعي جمعي» سلمت بموجبه اسرائيل بحدود قوتها، رغم ما تتمتع به من تفوق نوعي على المستويات التكنولوجية والعسكرية والدولية.

> **نجح حزب الله في تحقيق التحرير عبر إسقاط رهان العدوّ على الجمع بين الاحتلال والامن**

استنادا الى هذه التحولات في وعي قادة العدو وجمهوره، نجحت مقاومة حزب الله في أن تسلبهم التلويح بخيار الاحتلال البري، وهو أهم رعب كان يسيطر على سكان لبنان لدى الحديث عن أي مواجهة مع كيان العدو. في المقابل، انتقل الرعب الى الداخل الاسرائيلي، وهو ما تم التعبير عنه على ألسنة النخبة الاسرائيلية باشكال مختلفة، لدى طرح أي سيناريو ينطوي على فكرة اعادة احتلال اجزاء من لبنان. ومع تجذر التسليم بحدود قوة سلاح البر الاسرائيلي في مقابل مقاومة حزب الله، أقرت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية - بقلم النائب السابق رئيس الاركان، اللواء يائير غولان - بصورة صريحة ومباشرة، بعدم ثقة القيادة العليا بالجيش البري. في المقابل، تعقّدت مشكلة اسرائيل أكثر مع اتضاح حقيقة انه بعيداً عن البر، لا فرصة للحسم العسكري مع المقاومة، وهو ما أقر به الرئيس السابق لأركان جيش العدو غادي أيزنكوت للجمهور الاسرائيلي، عشية مناسبة رأس السنة العبرية، بأن «الانتصار في الحرب سيأتي حصراً عبر مناورة القوات البرية التي ستحتل الأرض وتهزم العدو». هكذا وجدت اسرائيل نفسها أمام خيار جوي عقيم ومكلف جداً لعمقها الاستراتيجي، بفعل نجاح حزب الله في إبداع تحويل الجبهة الداخلية الى جبهة قتال حقيقية. وبحسب تعبير غولان «تنتظر الجبهة الداخلية سيناريوات لم تشهدها طوال تاريخها في كل الحروب التي خاضتها في مواجهة الجيوش العربية». وعلى المقلب الآخر، هي أمام خيار بزي متعذر - ومن دونه لا يوجد حسم عسكري - بعدما أدركت أنه مكلف الى المستوى الذي ترى فيه قيادة حزب الله فرصة لتدمير سلاحي المدرعات والمشاة في جيش العدو.

بديل استراتيجي

لم يكن تحرير العام 2000 انتصارا للبنان وحده. بل كان انتصارا ايضا لفلسطين والشعوب العربية. فقد قدمت المقاومة في لبنان ابداعاً ناجعاً في مواجهة تفوق الاحتلال على كافة المستويات، من موقع التجربة المدوية في نجاحها. وأثبتت أن بالامكان الانتصار عليه من دون انتظار استراتيجية عربية مشتركة، المطلوبة بدورها في كل حين على قاعدة التحرير. واظهرت أن لدى الشعوب العربية خياراتها البديلة عن التسليم بالوقائع التي فرضها الاحتلال، وهو ما يُفسر محاولات تطويق حزب الله في لبنان، ومعه المقاومة في فلسطين، وتشويه صورتها «منعاً لاستكمال انتشار العدوى» القادرة على اعادة صناعة التاريخ بالاتجاه المعاكس لما تدفع نحوه الولايات المتحدة والعدو الاسرائيلي.

* إحالة إلى قصيدة مظفر النواب «الطريق إلى الجنوب»

«الشيوعي»: للتحرير... وبناء الدولة العلمانية المقاومة!

أصدر المكتب السياسي في الحزب الشيوعي اللبناني، أمس، بياناً موجّهاً فيه التحية إلى صنّاع عيد المقاومة والتحرير، «والشهداء والجرحى والأسرى والجنود المجهولين والبيئة الشعبية الحاضنة، الذين سطّروا هذه الصفحة من تاريخ شعبنا وحزبنا، بدءاً من استهلال مواجهة الهجرة الصهيونية في الثلاثينيات، مروراً بإنشاء الحرس الشعبي وقوات الأنصار، وصولاً إلى إطلاق جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية ـ «جمول» ـ التي حرّرت العاصمة والجبل والإقليم وصيدا وجزءاً واسعاً من الجنوب والبقاع الغربي، وصولاً إلى استكمال التحرير للشريط الحدودي مع المقاومة الإسلامية في 25 أيار 2000». ووُجهت التحية أيضاً إلى «شعبنا الذي احتضن المقاومة وحمى خيارها. والتحيّة كذلك إلى فلسطين الواقعة في قلب المواجهة وأساسها».

ووصف البيان الشيوعي المواجهة بأنّها «واحدة في كلّ أرض محتلّة، من لبنان والجولان إلى فلسطين وكل الشعوب التي تواجه الغطرسة الأميركية والتدخلات الإمبريالية». هذه المواجهة «مستحقة ومطلوبة وواضحة الأهداف ضدّ ذلك المشروع الاستعماري المتجدّد: مواجهة من أجل التحرر الوطني والاجتماعي وضد الاستغلال والهيمنة، ومن أجل الحفاظ على الثروات والتنمية والعدالة الاجتماعية».

وقد أثبتت كل الوقائع التاريخية أن لبنان الواقع على الخطوط الأمامية في هذه المواجهة لم ولن يستطيع مواجهة هذه المهمات بنظام سياسي طائفي تابع».

انطلاقاً من الوضع القائم، يدعو «الشيوعي» إلى بذل أقصى الجهود «لإنضاج وتجسيد برنامج وطني محكوم بمسارين: تحرير ما تبقّى من أراض لبنانية محتلّة والتصدّي لأي عدوان خارجي، والعمل على بناء الدولة العلمانية الديموقراطية المقاومة على أنقاض النظام السياسي المذهبي الريعي».

(الأخبار)

عون: التحرير نموذج تاريخيّ للعالم

أكد رئيس الجمهورية العماد ميشال عون أن «ذكرى 25 أيار، هي دليل حيّ على أن إرادة الشعوب تنتصر في النهاية على المصاعب والظلم والاحتلال، وتخرق حصار التعدي على الحقوق، والتعنت، وتشويه الحقائق، أياً كانت الدول التي تقف في وجهها». وحيّا الرئيس عون «نضال الشعب اللبناني على مدى أكثر من عشرين سنة، لدفع جيش الاحتلال إلى الهزيمة واستعادة السيادة الكاملة على أرضنا، باستثناء المناطق المحتلة في مزارع شبعا وتلال كفرشوبا التي نتمسك بلبنانيتها». واعتبر أن «إنجاز التحرير ما كان ليتحقق، لولا الروح الوطنية العالية التي تحلى بها اللبنانيون والتي جعلت من الشهادة سلاحاً في وجه الطغيان والقوة العسكرية الغاشمة».

ولفت رئيس الجمهورية إلى أن «المقاومة هي حق طبيعي لأي شعب تنتهك أرضه أو مياهه أو سماؤه». لافتاً إلى أن «لبنان قدم للعالم نموذجاً تاريخياً لفاعلية مقاومة الشعوب مهما كانت قوة العدو وقدراته العسكرية».

وفي ذكرى عيد المقاومة والتحرير، يُلقي الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، عند السادسة من بعد ظهر اليوم، كلمةً متلفزة.

(الأخبار)

المشهد السياسي

الانتهاء من الموازنة: 600 مليار ليرة لإقفال «المهجرين»!

«ملّ» سعد الحريري من الجلسات المُكرّرة لمناقشة مشروع موازنة الـ 2019. فاجرى يوم الخميس سلسلة اتصالات لفرض التهدئة على شركائه، وتأمين إمرار المسودة. إذا كان الهدف الانتهاء من الموازنة مهما يكن مضمونها، فيُمكن القول إنّ الحريري نجح في جهوده. اما إذا نُظر إلى ما تحقّق من باب الجدوى الاقتصادية، فستكون النتيجة مزيداً من «الاستقرار»... في المسير الدائم نحو الهاوية

انخفضت نسبة العجز المتوقعة في موازنة الـ 2019 من 11,5٪ إلى 7,5٪ (هيثم الموسوي)

قرّر الوزراء أمس وضع حدّ لنقاشاتهم حول مسودة موازنة ما تبقى من الـ 2019، «مُبشرين» اللبنانيين بـ«إنجاز» الانتهاء من حسابات «دكانتهم»، من دون أن تُعبّر عن خطة الدولة الاقتصادية لمواجهة المرحلة الخطيرة التي تمرّ بها البلاد. لم يكن من داعٍ ليُضيّع مجلس الوزراء 19 جلسة، حتى يخرج بنتيجة كان يُمكن الانتهاء منها بظرف ساعات. 19 جلسةً من الأخذ والردّ، والبحث بأمور كثيرة لا تتوافق مع التفسير الدستوري والقانوني للموازنة، ومن دون أن تُقارب بأي شكل من الأشكال جوهر المشكلة الحقيقية. المسودة، والأوراق الاقتصادية، التي أنهى الوزراء البحث بها، لا تصل إلى مستوى

> **أقر رفع اسعار بطاقات السفر 75 الف ليرة لدرجة رجال الاعمال، و25 الف ليرة للدرجة السياحية**

«حكومة الطوارئ» التي تسعى إلى إنقاذ الوضع، وليست أكثر من تعبير عن وجود مجموعة من «المتعهدين» الذين يعيشون تحت سيف مؤتمر «سيدر» والمانحين الدوليين والتهديدات المالية، والساعين إلى «تحرير» القروض ــ التي تتنحل صفة المساعدات ــ التي وُعدوا بها في المؤتمر الباريسي، لتبدأ الأعمال.

مؤشرات عدّة دلّت على أنّ اجتماع أمس سيكون الأخير في السرايا الحكومية، قبل أن تنعقد جلسة في قصر بعبدا، تقرّر أن تكون قبل ظهر الاثنين. استبق رئيس الحكومة سعد الحريري جلسة أمس، باتصالات قام بها يوم الخميس مع كلّ من الوزيرين علي حسن خليل وجبران باسيل، طالباً التهدئة. وطلب من وزير المال اصطحاب الدراسات والأرقام المرتبطة بالاقتراحات التي تقدّم بها وزير الخارجية والمغتربين وغيره من الوزراء، لاتخاذ قرار بالذي يُبحث منها في مشروع موازنة 2019، وتلك التي ستُرحّل إلى موازنة الـ 2020، أو ما يُحال إلى مجلس النواب أو ما يمكن بتّه بقرارات حكومية أو وزارية. رئيس الحكومة بدا مُنزعجاً في جلسة يوم أمس، لكنه لم يُعبّر عن ذلك بالنقاش الحادّ، بل بالاستهزاء بكثير من الطروحات، كما فعل حين ناقشة فرض ضريبة على البخوت. فعندما قال أحد الوزراء إنّ تسجيل البخت بالنوادي الخاصة يُكلّف 15 ألف دولار، سخر الحريري قائلاً: «نعوا نزيد ضرائب تا ينشجعوا أصحاب البخوت يسجلوها عنّا»، قبل أن يتم الإيضاح له أنّ رسوم التسجيل الحالية تستفيد منها النوادي الخاصة وليس الخزينة العامة.

وانعكست نتيجة الاتصالات التي قام بها الحريري هدوءاً داخل القاعة، حيث إنّ خليل كان بردّ على كلّ من يُقدّم طرحاً بالقول: «منمشي». وباسيل أيضاً لم يُناقش بطريقة استفزازية، أو يعيد طرح مطالب قديمة. الاستثناء الوحيد كان حين سأل وزيرُ الخارجية عن سبب عدم خفض موازنات عددٍ من الوزارات. الردّ عليه أتى من وزير الشؤون الاجتماعية ريشار قيومجيان، الذي برّر بأنّ وزارته تدفع المال للعديد من الجمعيات، كرعاية المعوقين ومعالجة الإدمان. ومن غير الممكن التوقف عن تمويل هذه الجمعيات، بسبب غياب أي مؤسسات تملكها الدولة وتؤمن الرعاية بهذه الأمور. أوضح باسيل أنّه لم يكن يقصد بكلامه «الشؤون الاجتماعية» وحدها، مُستغرباً أن يُبادر قيومجيان إلى التبرير، بل كان يقصد أيضاً وزارات الصحة والأشغال العامة والاتصالات. تدخل وزير الأشغال يوسف فنيانوس، مُذكراً بأنّ موازنة «وزارته» خُفضت بحدود الـ 20٪، مثلاً كان مُخصصاً 250 مليار ليرة للطرق، أصبحت بعد الخفض 200 مليار ليرة». بدورها، الوزيرة مي شدياق سألت باسيل ساخرةً، «غريب كيف لم تُطالب بخفض موازنة أي وزارة من نصيب التيار الوطني الحرّ». فاتى كلام الوزير غسان عطا الله كنوع من الردّ عليها، فجدّد التذكير بنية «التيار» إقفال وزارة المهجرين. إلا أنّ ما كان مفاجئاً للوزراء بطرح عطا الله، قوله إنّه سيكون بحاجة إلى 600 مليار ليرة لاستكمال ملفات المهجرين وإقفال الوزارة، بعد 29 سنة على انتهاء الحرب الأهلية، ما يطلب الوزير الشاب، تهامس عدد من زملائه، مُتذكرين يوم كان النائب طلال أرسلان وزيراً للمهجرين، وقال إنّ الوزارة بحاجة إلى 60 مليار ليرة لإنهاء الملف.

لا تزال الحكومة بحاجة إلى 400 مليون دولار من أجل إقفال هذا الملفّ! وأضاف عطا الله مُطالباً بـ 10٪ من الـ 600 مليار ليرة، هذا العام، على أن ترتفع الحصة إلى 30٪ لكل من السنوات الثلاث المقبلة. تحت صدمة بعيداً عن ذلك، اتخذ الوزراء عدداً من القرارات، كفرض رسوم تسجيل وضريبة القيمة المضافة على البخوت التي يزيد طولها على 15 متراً. لكن من غير المتوقع أن تدرّ هذه الضريبة أرباحاً كبيرة، لأنّه قبل 18 سنة، وحين أُعفيت البخوت من الرسوم، لم يُسجّل إقبال على تسجيلها في لبنان.

ومن أبرز الأمور في جلسة أمس، زيادة رسم الخروج من لبنان بقيمة 75 ألف ليرة على المسافرين على درجة رجال الأعمال، و25 ألف ليرة على بطاقات الدرجة السياحية (الاقتصادية). ما يعني عملياً، رفع أسعار بطاقات السفر، فوق ما هي أصلاً مرتفعة. وفُرض أيضاً رسم على البحص والرمل بقيمة 1500 ليرة لكلّ متر مكعب. وطرح باسيل تخفيض الرواتب فوق الـ 3 ملايين ليرة، فكان الردّ الرافض عليه من الوزير محمد فنيش.

بعد الانتهاء من النقاشات، بادر الحريري إلى الوقوف ورفع الجلسة لارتباطات خاصة، قائلاً إنّ الجلسة المقبلة ستكون في بعبدا. فاعتبر باسيل أنّ وجود الرئيس ميشال عون قد يُشكّل دفعاً لإقرار الموازنة. على الرغم من ذلك، لا يزال وزراء ناشطون على خطّ الاتصالات السياسية، يردون بأنّهم لا يعرفون إن كانت الموازنة قد انتهت أو لا!

وصرّح علي حسن خليل بعد الجلسة بأنّه «لا يوجد أي اقتراحات أو أرقام أو مواد لا تزال معلقة... هناك توجهات عامة جرت مناقشتها ليست مرتبطة بشكل مباشر بالموازنة». وقال إنّ «التدبير الرقم 3 ليس بحاجة إلى موازنة، بل إلى قرار من مجلس الوزراء. والأملاك البحرية أُقرت وهي ملحوظة بالموازنة، ووزارة المال بدأت بتكليف المعنيين بهذا الأمر». أما الوزير جمال الجراح، فأعلن أنّ نسبة العجز انخفضت من 11,5٪ إلى 7,5٪. ومن المنتظر أن يُعقد اليوم اجتماع بين قادة الأجهزة الأمنية، برئاسة قائد الجيش، لبحث آلية تطبيق «الضمائم الحربية» (التدابير الرقم 1 و2 و3)، علماً بأن وزير الدفاع الياس بوصعب يذكّر بأن المادة 80 من قانون الدفاع تنص على أن كل ما يمت لـ«الضمائم الحربية» بصلة يُتّخذ بمرسوم عادي (لا يحتاج إلى قرار من مجلس الوزراء) بناءً على اقتراح وزير الدفاع، وأنه، أي بوصعب، يريد أن يتخذ قراره بناءً على توصية من المجلس الأعلى للدفاع.

(الأخبار)

في الواجهة

موازنة 2019: إخفاء الأوساخ تحت السجّادة

لا يختلف اثنان على ان مناقشة موازنة 2019، في مجلس الوزراء وخارجه، فيها الكثير من الارقام والقليل من الاصلاحات. لكن فيها ايضا الكثير من السياسة هي محور الانقسامات التي شهدها مجلس الوزراء في جلساته الاخيرة، عندما اوشك على ختم مشروع القانون

نقولا ناصيف

ليس غريباً ان ما يصيب مشروع قانون موازنة 2019 الآن، قبل الوصول الى مجلس النواب، هو نفسه ما اصاب عام 2017 قانون الانتخاب، وعام 2018 تأليف الحكومة الحالية. وهو سيصيب اي ملف آخر مماثل في اهميته في المرحلة المقبلة.

في كل من المحطات الثلاث تلك، في السنوات الثلاث الاولى من العهد، لم يكن غريباً كذلك ان الكتل الرئيسية الممثلة في حكومة الرئيس سعد الحريري تظاهرت بالتأثر بعامل الوقت وضغوطه، وافتعلت ذرائع ارباكها بتقديم تنازلات. بيد ان الهدف الفعلي كان في مرمى آخر، هو سبل احرازٍ افضل توافق على تلاقي مصالحها. فلا يخرج خاسر من بينها. في قانون الانتخاب وتاليف الحكومة، توخّت الكتل هذه المحافظة على توازن القوى نفسه، المنبثق من التسوية السياسية المبرمة في تشرين الاول 2016، على نحو يجعلها تمسك بزمام السلطة. مع هامش تقليدي دعائي اكثر منه جدياً، هو اظهار اكثر من تباين في الآراء وحيال الملفات في ما بين افرقائها.

في مشروع موازنة 2019، لم يكن المطلوب سوى تأكيد المؤكد: ادارة خزينة الدولة وضائقتها المعيشية والاقتصادية والنقدية بما لا يفلت الزمام من ايدي الكتل الرئيسية تلك التي يمثّل تضافرها مقدرة السلطة على الصمود والبقاء. جراء ذلك امكن الوصول الى الحلول السهلة، القليلة الكلفة على الكتل نفسها، من خلال فرض رسوم وضرائب واقتطاعات في القطاع العام، دونما مسّ القطاعات الأساسية المؤثرة في خفض العجز، لاسيما منها المرتبطة بالمرافق الاكثر اهداراً، والاكثر تعششاً للفساد فيها، والاكثر تخللاً بحماية المرجعيات النافذة في الحكم. من هذه ما يصحّ تسميته دويلات الاتصالات والنفط والجمارك والمرافئ والاملاك البحرية والنهرية، ناهيك بخدمة الدين العام والاجور الخيالية وايجارات المباني الرسمية. اضف فضيحة توظيف آلاف في الادارة. والملاحَظ لا تنتهي للسبب نفسه الذي تمثّله مرجعياتها المختفية وراء تلك المنشات، بقيت هذه المرافق في منأى عن الإصلاحات الجذرية والبنيوية.

ليست كل القطاعات هذه سوى المظهر الرئيسي لتولي الكتل الحاكمة، في السلطتين الاشتراعية والاجرائية، تمويل احزابها وعناصرها ونشاطاتها وامكاناتها من خلال مقدرات الدولة اللبنانية. ليست مفارقة ان وراء كل من الكتل الرئيسية الست احزاباً وتيارات هي التي تشكل المرجعية السياسية الفعلية للكتل تلك.

شان ما بدا مع اول انتخابات نيابية عام 2018 بعد ثلاثة قوانين تمديد بذرائع واهية، ثم ابصار حكومة الحريري النور في الشهر الثامن، يأتي الاعلان عن الموازنة كأنه انجاز غير مسبوق، مع ان ثمة الكثير ينتظرها في قصر بعبدا.

نصف الموازنة خارج الرقم الجديد للعجز (هيثم الموسوي)

واقع الامر انه ليس كذلك، الا ان ثمة ما يتطلبه الاستعجال:

اولها، ان خفض العجز من 11.5% الى 7,6% لا يعدو كونه سوى رقم وهمي:

- تارة لأن الارقام الفعلية للعجز في الاشهر الستة الاولى من انفاق 2019 خارج الموازنة الجديدة، وتبعاً للقاعدة الاثنتي عشرية، ستكشف عن حقيقة مختلفة هي رقم آخر، لكنه حقيقي للعجز، يعيده الى ما كان عليه قبل الوصول الى الرقم الجديد الوهمي. لن يتمكن مجلس النواب من التصويت على موازنة 2019 قبل نهاية حزيران على الاقل، ما يشير الى ان الموازنة الجديدة لن تطبّق تقشفها سوى على ما تبقى من الاشهر الستة الاخيرة.

> **يتوخى تعويم سيدر اقتصاد لبنان إبقاءه «مستودعاً» للنازحين السوريين**

- وطوراً لأن الرقم الجديد للعجز لا يشتمل على الاموال المترتبة على الدولة للمستشفيات بما يقارب اكثر من 300 مليون دولار، وللمتعهدين والمقاولين بما يقارب 400 مليون دولار، واكثر منها للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي...

ما يعنيه ذلك ان نصف الموازنة خارج الرقم المعلن للعجز، تالياً اين يقتضي ادراج النسبة الجديدة له (7,6%) في الموازنة الناقصة أم تلك المكتملة؟

ثانيها، لا ريب في ان جانباً من استعجال الحريري والكتل الوزارية النافذة اقرار الموازنة، مرتبط بتقديم براءة ذمة امام مؤتمر سيدر، بتأكيد انجاز موازنة متقشفة متضمنة اصلاحات اساسية. يفضي ذلك الى ولوج اولى مراحل وضع قرارات المؤتمر قيد التطبيق، وحصول لبنان على دفعة اولى من قروضه، تقدّر بمليارَي دولار. بذلك فإن ما آلت اليه الموازنة الجديدة، المتقشفة، ليس اكثر من اخفاء الأوساخ تحت السجادة، كي لا يبصرها مؤتمر المانحين.

ثالثها، رغم ان الموازنة الجديدة لن تقنع بالضرورة مؤتمر سيدر بإنجازاتها وإصلاحاتها، الا ان من غير الضروري ايضاً مقاربته اياها بسلبية كبيرة تعطّل موافقة مؤتمر باريس على ما تحقق في بيروت. اذذاك فإن اي قرار ايجابي ينبثق منه لن يعدو كونه سوى قرار سياسي لمحاولة تعويم الاقتصاد اللبناني قدر الامكان، ووقف انحداره. امر يتناقض حتماً مع القراءة العلمية المتأنية لفحوى الموازنة الجديدة واجراءاتها وارقامها الوهمية.

قد لا يكون المطلوب في هذا الوقت بالذات إعدام لبنان اقتصادياً ونقدياً، مقدار ما يبدو انه لا يزال حاجة اساسية للمجتمع الدولي، لهدف وحيد لا يخفيه المسؤولون اللبنانيون، وتحدّث عنه مراراً رئيس الجمهورية، وعبّر عن مخاوفه منه: ابقاء لبنان «مستودعاً» للنازحين السوريين الى ان يحين أوان حلّ مشكلتهم، وربما الى ما بعد حل المشكلة هذه دونما الخوض في عودتهم. تالياً يصبح «المستودع» مفيداً بغية تفادي موجة هجرة هؤلاء الى الدول الأوروبية التي تريد التخلص من عبئهم الاجتماعي عليه.

في ذلك مغزى ان مؤتمر سيدر «لن يتخلى عن لبنان». لكنه لن يصدّق ايضاً ان ما طلبه في نيسان 2018 هو نفسه ما خلصت اليه موازنة حكومة الحريري.

تقرير

«التيار» يطرد 700 حزبيّ في بعلبك الهرمل!

لم يسبق للتيار الوطني الحر أن أقال نحو 700 منتسب دفعة واحدة. الا ان الامر حصل فعلا في منطقة بعلبك - الهرمل. بعض المقالين يتحدثون عن اجراء طائفي بحقهم، فيما تشير مصادر القيادة العونية الى ان هؤلاء لم يلتزموا بلائحة التيار في الانتخابات النيابية. رغم ذلك يعاد النظر بإقالاتهم بناء على طلب رئيس التيار

رلى ابراهيم

هذه المرة، لم يتقدّم حزبيون في التيار الوطني الحر باستقالاتهم الى القيادة، بل أقالتهم القيادة. كان يمكن الخبر أن يكون عادياً لو اقتصر الأمر على منتسب أو اثنين، غير أن الناشطين في بعلبك - الهرمل يتحدثون عن أكثر من 700 حزبي في البقاع الشمالي تمت اقالتهم دفعة واحدة؛ والسبب: «عدم الالتزام بالتصويت للائحة التيار الوطني الحر في الانتخابات الأخيرة». نائب رئيس التيار الوطني الحر للشؤون الادارية، رومل صابر، لا يؤكد الرقم ولا ينفيه، مشيراً في حديثه لـ«الأخبار» الى أن الأمر في عهدة المجلس التحكيمي للتيار، «ولا دخل لنا بالموضوع». لكنه يقول من جهة أخرى «إن قرارات الإقالة جرى الطعن بها، بناء على طلب من رئيس التيار جبران باسيل، لذلك تجري تحقيقات جديدة مع المقالين في الوقت الراهن». ما سبق أدى الى شحن الأجواء بين الحزبيين في منطقة بعلبك - الهرمل، خصوصاً مع حديث بعض المقالين عن إقالتهم لأسباب طائفية تتعلق بانتمائهم الى الطائفة الشيعية. ولكن هل حقا اقترعتم لصالح لائحة حزب الله وحركة أمل؟ «نعم، جزء منا فعل ذلك، لأن لائحة التيار كانت ضعيفة. وغيرنا أيضا لم يصوّت للتيار ولكن جرت ترقيته ولم يعمد أحد الى إقالته لأنه من الطائفة المسيحية»، يقول أحد المقالين. ما تقدّم ينفيه نائب رئيس التيار مؤكدا أن الذين أقيلوا «لا ينتمون الى طائفة معينة، ولم يتم التعامل معهم من منطلق طائفي. الأمر يتناقض أصلا مع مبادئ التيار وتنوّعه الطائفي من عكار الى الجنوب». يضيف صابر أن كل منتسب لا يقترع للتيار توضع في سجلّه إشارة تمنع ترقيته أو تسليمه منصبا حزبيا. وتسأل مصادر قيادة التيار عن «الازدواجية في كلام بعض المقالين، اذ كيف يمكنهم أن يكونوا ملتزمين في التيار الوطني الحر وأن يصوّتوا لغير مرشحيه، بصرف النظر عما اذا كانت اللائحة ضعيفة أو قوية. فانتخاب البعض للائحة حزب الله - حركة أمل - الحزب السوري القومي الاجتماعي هو أكبر دليل على أنهم لم يخرجوا من العباءة الحزبية أو الدينية، وأنهم في التيار لغاية في أنفسهم ربما تتعلق بمصلحة شخصية وليس عن قناعة بما يمثله التيار وقيادته. لكن للأسف يحاولون اليوم تبرير هذا الخطأ بإلباسه ثوبا طائفياً».

بالنسبة لبعض الذين اتخذت بحقه اجراءات حزبية، الأمر مختلف تماما. فهم «كانوا مقتنعين بأفكار التيار وعلمانيته ومشاريعه الاصلاحية. ولكن طغى تبدل جذري على سياسة التيار العوني قبيل الانتخابات النيابية، خصوصا في ما يتعلّق بالخطاب المتشدد الذي جعلنا غير مرتاحين. تطور الأمر أكثر عند إنشاء الماكينة الانتخابية التي بدأت تروّج للائحة من منطلق طائفي وترسل تسجيلات صوتية عبر تطبيق «واتساب» تتضمّن إهانات وشتائم. فما كان منا إلا أن عدلنا خيارنا بناء على ذلك. وللأسف لا زال التعامل معنا يخضع للأساليب نفسها». وما بين أخذ القيادة العونية وردّ الحزبيين، تخضع الاقالات لإعادة النظر، ما يعني اعترافاً ضمنيا بالتسرع في إقالة البعض، خصوصا أن العدد كبير جدا وغير مسبوق في تاريخ التيار الوطني الحر، وأن قضاء رحلة المجاور شهد قبل أسابيع استقالة حزبيين ساهموا بتأسيس التيار في البقاع، احتجاجاً على عدم اتخاذ القيادة أي إجراء بحق زملاء لهم عملوا في ماكينات انتخابية لمرشحين غير حزبيين (راجع «الأخبار» يوم 11 أيار 2019)!

(مروان طحطح)

قضية

خرج طلاب الجامعة اللبنانية إلى الشارع للتضامن مع أساتذتهم ضد استهداف جامعتهم والإمعان في إهمالها. أعلنوا أنّ تحركهم لن يتوقف مع استحقاف الموازنة، بل سيستمر لانتزاع استقلالية الجامعة عن السلطة السياسية

طلاب «اللبنانية» يناصرون جامعتهم «بيتي أنا سلاحو»

(مروان طحطح)

فاتن الحاج

بعد 17 يوماً على إضراب أساتذة الجامعة اللبنانية، قال الطلاب كلمتهم. نزلوا إلى الشارع في تحرك كاد يصبح حلماً بفعل غياب العمل الطلابي لعشرات السنوات. رفعوا الصوت مع أساتذتهم ضد الخطر الذي يتهدد الجامعة الوطنية والتصغير الممنهج بحقها واستسهال اتخاذ تدابير غير مسؤولة تفاقم أزمتها. ليس آخر هذه التدابير اقتطاع 80 مليار ليرة من ميزانية الجامعة على مدى سنتين. ما تشهده الجامعة، بحسب منشور لنادي «نبض الشباب» وُزّع في الاعتصام، أبعد من استحقاق الموازنة ومطالب الأساتذة المادية، «فالمسألة تتصل بنظرة الدولة للجامعة الوطنية، وهو ما يتطلب توسيع مروحة المواجهة وإيجاد وسائل ضغط بديلة».

ليس لغزاً سبب الغضب الآن، كما قالت الطالبة زهرة عوالي، إذ «يستكثرون على طلاب الجامعة الوطنية أن يرغبوا بمختبرات ومراكز أبحاث ومجمعات جامعية لائقة تضم سكناً طلابياً ومطعماً ونادياً رياضياً، وأن يخوضوا انتخابات طلابية ديموقراطية، وأن يحظوا بمناهج تواكب التطور العلمي، وأن يعطى أساتذتهم حقوقهم كاملة للعيش بكرامة والتفرغ الكامل للتعليم والبحث العلمي». وتسأل باستغراب: «أيعقل أن نصرخ لأجل العودة إلى الجامعة؟ أيعقل أن الرجوع إليها بات هاجسنا الأكبر؟». لكنها تقطع الشك باليقين بشأن محاولات دق الإسفين بين الطلاب وأساتذتهم بالقول: «أصحاب السلطة، أنتم ولا أحد سواكم يتحمل مسؤولية إبقائنا خارج الصفوف». للافت ما يقوله بعض المشاركين لجهة أن أحزاب السلطة لم تقوّ حتى الآن على استيعاب محازبيها واحتواء تحركهم و«تبريد» جبهتهم.

حناجر الطلاب الذين أعلنوا أنهم سيكونون سلاح جامعتهم صدحت بالتضامن مع الأساتذة رفضاً لاستهداف جامعتهم «بهيدي الجامعة كل الناس والعالم فيها أساس، وهون الطالب والأستاذ وحدة وحدة سوية، يا أستاذ مَنْك وحدك والطالب حدك حدك، لنحمي جامعتنا بقبضتنا القوية».

الطلاب رفضوا أن يكون التقشف على حساب جامعتهم «نحنا مندرس بلبنان بالجامعة الوطنية، ولاد الوزرا باليونان من جيوب اللبنانيي، عجز الموازنة ما بينسد من الجامعة اللبنانية، روحوا جيبوا المصاري من جيوب الحرامية».

على وقع هتافات «علم، حرية، عدالة اجتماعية» و«بسقط بسقط حكم المصرف»، «جامعة لبنان فرج الله حنين» (أول شهيد سقط في عام 1951 في سبيل قيام الجامعة اللبنانية)، سار المعتصمون بلا أساتذتهم من ساحة رياض الصلح باتجاه مقر جمعية المصارف، حيث مكثوا لبعض الوقت قبل أن يكملوا مسيرهم باتجاه شارع المصارف ويعودوا إلى ساحة الانطلاق.

وبعد الطلاب لتظاهرة ثانية ينفذونها، الثانية عشرة والنصف ظهر الاثنين المقبل أمام وزارة التربية.

هذه «الخميرة» من الطلاب المستقلين، كما سماها الأستاذ في كلية التربية خالد حدادة، تحتاج إلى دعم لتقود معركة الجامعة بعنوانين اثنين لا ثالث لهما: استقلالية الجامعة التي تنضوي فيها كل المطالب، وإحياء الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية.

برأي الأستاذ في معهد العلوم الاجتماعية محب شانه ساز، تجاوز الطلاب انقساماتهم وتشرذمهم أمام هول الكارثة التي تصيب «صمام الأمان الوحيد» لهم في هذا البلد.

والمستهدف في حركة ما يسمى الموازنة، بحسب رئيس رابطة الأساتذة المتقاعدين عصام الجوهري، «هي هذه الجامعة بكل مكوناتها عبر إضعاف المتفرغ واللعب بمصير المتعاقد كي يترك الجامعة والطلاب كي يشككوا بجامعتهم وينضموا إلى أسواق الجامعات الخاصة، حيث بعضها يعطي الشهادات «بليفري»، وإبعاد المتقاعد عن المساهمة العلمية في جامعته من حيث الأبحاث والإشراف والمناقشة». الأستاذ المتقاعد حامد حامد طلب باسم المتعاقدين من الرابطة عدم تعليق الإضراب المفتوح إلا بعد نيل الحقوق، وعلى رأسها رفع ملف التفرغ، وليكن هذا الملف خطاً أحمر من خطوطها. أما رئيس الرابطة يوسف ضاهر فاعلن الاستمرار بالاحتجاج والإضراب، محملاً السلطة المسؤولية الكاملة عن استمراره وعن مصير العام الجامعي.

ورأى أن إضراب أساتذة الجامعة أفشل مخطط القضم من رواتب الموظفين والأساتذة والعمال، مشيراً إلى «أننا أعدنا الدراسات والأرقام التي تفضح نفاقهم على مدى الأربعين سنة الماضية حتى اليوم والتي تؤسس لاقتصاد حقيقي غير ريعي، ولموازنة استراتيجية يكون فيها للدولة السيطرة على مقدراتها».

فالإجراءات المتخذة من الحكومة ستؤدي، بحسب التجمع الأكاديمي للأساتذة الجامعيين (الدكاترة عصام خليفة ونسيم خوري وبشارة حنا)، إلى تراجع الناتج الوطني المحتسب بنسبة تجاوز الـ 10 %، ولن ينخفض عجز الموازنة إلى الحدود المقدرة. وأكد التجمع أن التضامن بين كل المتضررين هو السبيل للانتصار في المواجهة المفتوحة.

يذكر أن رابطة الأساتذة شكلت لجنة من الأساتذة الاقتصاديين والحقوقيين لإعداد تقرير حول أثر الموازنة على الجامعة، وسيعرض هذا التقرير في وقت لاحق على الهيئة العامة، المخولة بحسب الأصول النقابية، تقرير مصير الإضراب.

> اقتطاع 80 مليار ليرة من ميزانية الجامعة على سنتين

سلام يونس تُحاضر فتطلب الاستقالة!

علمت «الأخبار» من مصادر مقربة من المديرية العامة للتعليم المهني أن المديرة العامة بالتكليف، سلام يونس، طلبت منذ نحو أسبوع من مرجعيتها السياسية (الرئيس نبيه بري) إعفاءها من مهماتها لكونها تشعر بأنّ هناك نية لتكبيلها من كل الأطراف السياسية، وهي غير قادرة على العمل في ظل هذه الأجواء السلبية غير التربوية. فتناتش أحزاب السلطة على اللجنة الفاحصة العليا الوحيدة هذا العام (في العام الماضي كانت هناك لجنتان فاحصتان عليبان)، استبعد مثلاً المسؤول عن المكننة ودوره أساسي في الاستحقاق وجرى توزيع المقاعد وفق الآتي: 7 للمسيحيين و7 للمسلمين درزي واحد. وتقول المصادر إن الاستقالة لم تكن سهلة على يونس لكونها حاولت القيام بخطوات إصلاحية من دون أن تلقى المساندة المطلوبة. ومن أسباب الاستقالة تعذر منع تحضير أسئلة الامتحانات الرسمية وطباعتها قبل أسبوعين من موعد الامتحانات، ما يزيد احتمالات تسريب الأسئلة.

تقرير

الضاحية تحصل على ربع مياهها!

هديل فرفور

يقدّر عدد المُقيمين اللبنانيين في الضاحية الجنوبية لبيروت بنحو 700 ألف، وعدد النازحين واللاجئين المقيمين فيها بنحو 250 ألفاً. هؤلاء يتوزعون على 120 ألف وحدة سكنية فضلاً عن وجود نحو 20 ألف محل تجاري. رغم ذلك، لا يتجاوز عدد الاشتراكات في مؤسسة مياه بيروت وجبل لبنان الـ40 ألفاً! ووفق رئيس اتحاد بلديات الضاحية محمد ضرغام، تحتاج هذه المنطقة، يومياً، إلى أكثر من 180 ألف متر مكعب من المياه، أما ما تحصل عليه من مصادر شركة المياه الأساسية فلا يتعدى 45 ألف متر مكعب شتاءً، و20 ألف متر مكعب فقط صيفاً! والأسوأ، أن نحو 20% من هذه الكميات تُحسم من حصة الضاحية بسبب تقنين الكهرباء، فيما يُهدر 14% منها «بسبب اهتراء القساطل»، ما «يستدعي مع بداية فصل الصيف، إعلان حالة طوارئ مائية - بيئية».

هذه الأرقام استعرضها ضرغام، أول من أمس، في ورشة عمل «واقع المياه في الضاحية الجنوبية - المشاكل والحلول» التي دعا إليها النائب فادي علامة، في فندق «لانكستر» في الحازمية.

ولعلّ أزمة المياه في الضاحية، كما في غيرها من المناطق، تختصر في مسألتين: الشحّ والتلوّث. وفق علامة، مصادر المياه في الضاحية الجنوبية ثلاثة هي: مياه الدولة، الآبار، والصهاريج، لافتا الى أن «مياه الدولة قد لا تكفي أكثر من 30% من حاجة أهل المنطقة للمياه، ما دفع بهم للجوء الى حفر الآبار، وفي حالات كثيرة إلى شراء المياه عبر الصهاريج والمؤسسات التي تُكرّر المياه».

الجدير ذكره أن الفوضى التي حكمت إدارة ملف حفر الآبار في لبنان عموما شكّلت العامل الأساس في تفاقم أزمة نوعية مياه الشفة. وكانت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي كشفت قبل سبع سنوات وجود أكثر من 20 ألف بئر مرخّصة ونحو 60 ألفاً من دون ترخيص، فيما تُشير التقديرات الحالية إلى تضاعف هذه الأرقام.

مدير مؤسسة مياه بيروت وجبل لبنان جان جبران رأى أن هذه «الآبار غير الشرعية من أكبر المشاكل التي يعاني منها قطاع المياه. وإذ أقرّ بوجود هدر في الشبكات يستوجب القيام بأعمال صيانة، أشار الى عمليات سرقة للمياه، «فمثلاً، تستفيد منطقة حي السلم من 7500 متر مكعب من مياه المؤسسة في حين أن أعداد الإشتراكات قليلة جدا في المقابل، فضلا عن أن نحو 85% من عبارات المياه تبقى مفتوحة ما يسبب انقطاعا في المياه». ينطلق جبران من هذه النقطة ليُشير الى أن المؤسسة تعتمد على اشتراكات المواطنين، وبالتالي فإن اعمال الصيانات وإصلاحات الشبكات تحتاج الى التشدد في مسالة الجباية والرقابة.

ضرغام وجبران توافقا على ضرورة القيام بحملة ضبط للمخالفات في الضاحية. إلا أن الحديث عن إزالة المخالفات وتحديث الشبكات في المرحلة الحالية يأتي في سياق المرحلة التي تسبق مرحلة السدود وإنجاز مشروع المنظومة المائية المتكاملة لنقل مياه الليطاني الى بيروت والمتوقع الانتهاء منها عام 2022.

ضرغام شدّد على «التعويل» على مشروع سدّ بسري الذي «من المفترض أن يؤمن سنوياً 120 مليون متر مكعب من المياه لمصلحة المنطقة الممتدة من ساحل اقليم الخروب الى مرتفعات المتن مرورا بالضاحية الجنوبية وبيروت الإدارية». وهذا ما استفزّ عدداً من الناشطين المناهضين للمشروع، فيما كانت لافتة دعوة المدير العام للمصلحة الوطنية لنهر الليطاني سامي علوية الى «التركيز على معالجة الصرف الصحي وتطبيق القوانين قبل الحديث عن جر مياه الليطاني وغيرها»، لافتا الى «ضرورة محاربة التلوّث قبل نقاش السدود».

مقال

مناهجنا في عيد التحرير: «نزاع مع إسرائيل» أم «حرب مع العدو»؟

فضل الموسوي*

في حلقة نقاشية نظمها المركز التربوي للبحوث والإنماء، العام 2016 . 2017 لدراسة ملامح التلميذ اللبناني، اقترح المنظمون أهمية أن يكون التلميذ مقاوماً للضغوط، باعتبارها سمة مرتبطة بصحته النفسيّة. «حسناً لماذا لا نوسّعها قليلاً وتصبح السمة مقاوماً بشكل عام، وليس فقط للضغوط»، كانت هذه العبارة مدعاة قهقهة بعض المشاركين في الحلقة على ما اعتبروه استغلالاً للموقف، مطالبين بأن «نحكي تربية»!

التربية في لبنان معزولة عن المجتمع إلى درجة يعدّ فيها الحديث عن مفهوم المقاومة حديثاً سياسياً وليس تربوياً. لا عتب في ذلك على بعض التربويين التقنيين، فـ«المقاومة» كمفهوم تربوي لم ترد في الأدلة المرجعية التي يعتمدون عليها في بناء ثقافتهم التربويّة. وهي غير موجودة في وثيقة «مهارات القرن الحادي والعشرين»، ولا في وثيقة «المعايير standards»، ولا في وثائق منظمة اليونسكو ودراساتها الممولة من البنك الدولي، وهي مفهوم لم يرد سابقاً في الأبحاث والدراسات التربويّة.

أكثر من ذلك، لا يزال البعض يعتبر أنّ مفهوم «المقاومة» طرح فنوي. وهذا البعض يتقن بامتياز العمل بشكل حيادي! كمثل الدعوة إلى فصل التربية عن لوثة السياسة البغيضة التي «فتّتت اللبنانيين» بحسب تعبير إحدى الزميلات، «وخلينا نحكي تربية وحب وأطفال، بكّير عليهم هؤلاء الطيور نفوتهم بهيك موضوعات وعنف».

هذا الخطاب الساذج يسيّر شؤوننا التربوية ويشارك فيه جيش من التقنيين الحياديين اللاهثين وراء فرصة للعمل في أحد المشاريع المموّلة خارجياً لتطوير المناهج وإعداد البرامج التربويّة.

> إلى «أننا أعدنا الدراسات والأرقام التي تفضح نفاقهم على مدى الأربعين سنة الماضية حتى اليوم والتي تؤسس لاقتصاد حقيقي غير ريعي، ولموازنة استراتيجية يكون فيها للدولة السيطرة على مقدراتها».

كل القيم التي تكشّفت في قصص صبر المقاومين وبطولاتهم لا ترقى حضارياً وثقافياً وتربوياً إلى مستوى قصص كتابي اللغة العربية والإنكليزيّة التي تعدّ وفق معايير اللاعنف وحل النزاعات والتعدديّة، والاختلاف، والسلام والمدنيّة وغيرها من المفاهيم الغريبة العجيبة التي يفرضها الممولون للمناهج.

غريب أن لا يسمع البعض دوي القصف المفاهيمي الذي يدكّ حصوننا التربويّة. ومؤلم أن يتعامى البعض عن هذا «اللؤم» في المصطلحات، فهل نحن اليوم في «نزاع مع إسرائيل» أم «حرب مع العدو»؟ وهل كلمة «اغتصاب فلسطين» باتت ثقيلة على مشاعر أطفالنا البريئة، فيما نظراؤهم في المقلب الآخر يرسلون لهم الصواريخ؟ بكل هذه الوقاحة والفجور يراد لنا أن نصدّق براءة هذه المصطلحات، والمشاريع وحياديّتها.

هل مسموح اليوم أن يمر يوم التحرير خفوراً على المستوى التربوي ومن دون أي نشاط وطني عابر لحواجز المدارس الطائفيّة/السياسيّة؟ هل مسموح أن يعرف أطفالنا كل أنواع الحيوانات وتفوتهم معرفة الذئب المتربص بهم خلف الحدود؟ هل يجوز أن لا يعرف أطفالنا قصة إخوتهم الذين ناموا بأمان في قانا، ثم عرجوا إلى السماء؟ هل يجوز بعد 19 سنة على التحرير، أن نلتقي شباباً لبنانيين درسوا الجغرافيا لكنهم لا يعرفون حدود الجنوب المحرر؟ هل يصح أن يدرس أولادنا تاريخ كل الأمم، ولا يدرسون تاريخ وطنهم الحديث وانتصاراته المتلاحقة على العدو الإسرائيلي؟ أليس التحرير تحت سقف القوانين والدستور والبيان الوزاري؟

بعد 19 عاماً نحن المواطنين الذين نؤمن بالمقاومة ثقافةً ومنهجاً في حياتنا، وبالعدو الإسرائيلي عدواً دائماً متربصاً بلبنان، مطالبون بتشكيل جبهة تربويّة متلازمة لعمل منهجي كما يأتي:

- محور تخطيط المناهج وتشريعها: أن يكون ملمح التلميذ المقاوم من الملامح الأساسيّة للمتعلّم اللبناني، وأن تشتقّ من هذا الملمح مجموعة من الكفايات المستعرضة في المواد الدراسية، فتحمل مواردها في تاريخ المقاومة وتطوير تقنياتها وفي جغرافيا الانتصار، وفي الاقتصاد المقاوم، وفي المجتمع المقاوم.

- محور الأكاديميين والباحثين: إنتاج بحثي وأكاديمي لصياغة إطار نظري مرجعي لمفهوم المقاومة بالمعنى الثقافي والتربوي والاجتماعي الأوسع، أي التحرّر من القيود وأدوات التبعيّة والاستعمار والاستلاب الثقافي والتمسك بمواطن القوّة، وتطوير أدوات الانتصار.

- محور الجمعيّات والنقابات التربويّة والتجمّعات الأهليّة: اقتراح وتنفيذ برامج ومشاريع وأنشطة منهجيّة رسميّة من خلال بروتوكولات التعاون مع الجهات الرسميّة من جهة، ومع المؤسسات والجمعيّات التربويّة العابرة للطوائف من جهة أخرى.

- محور وسائل الإعلام والناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي: التفاعل مع المحاور الثلاثة السابقة في محاولة لتشكيل رأي عام مساند وداعم، ومقاوم لكل أشكال التطبيع التربوي أو الاستهتار بمنجزات المقاومة في لبنان..

إن بلورة حملة وطنية في هذا الاتجاه، تسهم في صياغة سياسات تربويّة جديدة، وإشاعة مناخات ثقافيّة مقاومة، يتنفس من خلالها طلابنا مفاهيم الكرامة الوطنيّة والاستقلال، والذود عن الوطن، وهي مفاهيم يستحيل أن نجدها في المشاريع المموّلة خارجياً، والتي لا نملك غيرها في كل حراكنا التربوي الرسمي.

*باحث تربوي

حق الرد

توضيح من بلدية المتين

توضيحاً لما نشرته «الأخبار» بعنوان «بعد المنطقة الصناعية، المتين بلا غابة ولا ينابيع!» (الجمعة 17 أيار 2019)، نورد الآتي:

بعد الانتخابات البلدية الأخيرة التي فازت فيها لائحة الأستاذ زهير بو نادر، تجمع الخاسرون الدعوم بعضهم من المحامي جهاد بو نادر تحت ما سموه الحراك المدني المتيني، وأصبح شغلهم الشاغل عرقلة سير العمل البلدي عبر توجيه الاتهامات جزافاً لرئيس البلدية.

- في ما يتعلق بحرش الضيعة، فإنه يقع على عقارين ممسوحين كمشاع للبلدة، وهما من العقارات «المتروكة المرفقة». وتعود ملكيتها للبلدية عملاً بأحكام المادة 7 من قانون الملكية العقارية، ولها وحدها حق طلب إنشاء محمية عليهما، ما يجعل طلب المختارين من أصل ثلاثة من مخاتير المتين غير قانوني. والبلدية تعتبر أنّ لا صفة لهما للتصرّف بالأملاك العامة البلدية، كما أن إعلان حرش الضيعة محمية بناءً لطلبهما سلخه من سلطة بلدية المتين وجعله تحت سلطة وزارة الزراعة بحسب أحكام قانون إنشاء المحميات، وهذا مرفوض من معظم أهالي البلدة الذين وقّعوا عريضة في هذا الشأن.

- كانت المنطقة الصناعية ولا تزال حلم أهالي المتين. وحدثت مبادرات بهذا الخصوص، آخرها صدور القرار رقم 11 عام 2010 عن المجلس الأعلى للتنظيم المدني حدد المنطقة الصناعية المجاورة لهذا الحرش بصورة دقيقة، وشملت حوالي 14% من مساحته المجاورة لها والتي لا تتضمّن أشجاراً، أما الباقي من مساحته فكانت ولا تزال وستبقى حرشاً. أضف الى ذلك أنّ الصناعات المسموح بها من الفئات الخفيفة المصنّفة ثالثة ورابعة وخامسة ويمكن أن تقام داخل مناطق سكنية. إلّا أنّ ما سمي بالحراك المدني حاول عرقلة مشروع المنطقة الصناعية النموذجية بالحصول على قرار بإعلان حرش الضيعة محمية، وتفويت فرصة إنشاء هذه المنطقة على أهالي المتين وخسارة فرص عمل لشبّانها وشبابها.

- الأملاك العامة والينابيع التي تناولها التحقيق تقع في محلّة السدّ التي بدأت فيها أعمال المساحة عام 1980 وانتهت في 2003 أي قبل انتخاب رئيس البلدية الحالي لولايته الأولى عام 2004، علماً بأنّ أعمال المساحة تناط بمختار البلدة، ومن واجب هذا الأخير دعوة مالكي العقارات لحضورها، ومن بينهم البلدية التي كان من واجبها الحضور باعتبار أنها من أصحاب الأملاك العامة. وإذا سلّمنا جدلاً بصحة وجود تعدٍّ على الأملاك العامة، فهذا يعود الى تاريخ حصول أعمال المساحة ولا شأن للبلدية الحالية به.

أمّا الادعاء على رئيس البلدية من النيابة العامة فتم استناداً الى تقرير خبير هو اليوم موضوع دعوى تزوير أمام القضاء المختصّ، والموضوعان في عهدة قاضي التحقيق في جبل لبنان القاضية سائدرا المهتار. وفي ما يتعلق بالخريطة التي ذكر أنها مزوّرة، فهي الخريطة التي استلمها رئيس البلدية من أحد المساحين في البلدة وسلّمها للنيابة العامة، وهو الذي قدّم طلبات لإخضاعها لفحص فني لكشف ما إذا كانت مزوّرة، لأنّ هذا يحسم كل جدل حول الادعاء بحصول تعدٍّ على الأملاك العامة العائدة لينابيع منطقة السدّ. وعليه، يكون قرار القاضي العقاري في جبل لبنان بإعادة تكوين هذه الخريطة قبل التثبّت من صحتها في غير موقعه القانوني السليم إذ لا تجوز عملية التكوين قبل التثبّت من فقدان الخريطة الموجودة اليوم لدى النيابة العامة. كما أن موضوع الينابيع يرتبط مباشرة بالخريطة، والتأكد من صحتها ينهي موضوع الينابيع التي لا تزال ضمن الأملاك العامة بحسب تقريري خبيرين مسّاحين كلّفا من قبل البلدية.

- كل كلام عن تدنّي في كمية المياه التي تغذّي البلدة غير صحيح ويثبت جدول المشتركين بالمياه وحجم اشتراكاتهم.

- في ما يتعلق بترخيص البناء، فقد كانت منطقة السدّ ضمن الجزء الذي سلخ عن نطاق بلدية المتين والحق بالنطاق البلدي لبلدية بتغرين في ما عُرف بقضية خراج المتين التي انتهت مؤخّراً بصدور قرار عن مجلس شورى الدولة أعاد الى المتين ما سلخ عنها بعد أربعين عاماً من النضال. وقد كانت هذه المنطقة موضوع نزاع أثناء عمليات التصنيف وشروط البناء التي كان يضعها خلال عام 2005 المجلس الأعلى للتنظيم المدني. ورغم ذلك كانت البلدية تصرّ على ممارسة سلطتها على تلك المنطقة وتصدر تراخيص البناء، فيها وفقاً للشروط التي وضعت لها ومنها التقيّد التام بوضع محطات التكرير لأنّ تلك التراخيص كانت تدرس من الناحية الفنية من المكتب الفني وترسل الى البلدية لإصدارها فقط. والقانون واضح إذ يلزم رئيس البلدية بإصدار الترخيص خلال شهرين وإلّا يعتبر صاحب العلاقة حاصلاً عليه حكماً. كما أن العقارات المجاورة للأملاك العامة هي عقارات خاصة، ولا شيء يمنع من الترخيص عليها بالبناء بعد التأكّد من عدم وجود أي تعدّ منها على الملك العام، وذلك بموجب معاملة إظهار حدود كانت تسبق أي طلب بالترخيص، وهذا ما كان يحصل فعلاً.

- قصة المحرقة من نسج الخيال، وزرعها في حرش الضيعة من سابع المستحيلات لأنّ ما أدخل من هذا الحرش في المنطقة الصناعية في العام 2010 لا يسمح تصنيفه بإنشاء أية محرقة للنفايات.

أمين سر بلدية المتين
المحامي فادي الحاج

كأس لبنان

«نهائي الموسم» بين العهد والأنصار

أفضل ختام لموسم (2018-2019) في كرة القدم اللبنانية هو من خلال مباراة نهائية بين الفريقين الأفضل بطل الدوري ووصيفه في نزال على كأس لبنان (اليوم 22.30). فهل يعزز الأنصار رقمه القياسي ويحرز اللقب الـ 15، أم أن اللقب السادس سيكون بانتظار العهد؟ الجواب يتوقف عند تفاصيل فنيّة محددة

شربل كريم

لا يختلف اثنان على أن العهد والأنصار استحقا بلوغ المباراة النهائية لمسابقة كأس لبنان لكرة القدم، وذلك نسبةً إلى الموسم الذي قدّمه كلٌّ منهما، إذ لا يمكن الحديث عن مبالغة عندما يرتبط الأمر بالعهد، والدليل احتفاظه بلقب الدوري اللبناني، والأمر عينه ينطبق على الأنصار الذي تطوّر كثيراً، وبات الفريق الممتع بالنسبة إلى المتابعين.

فريقان يتشابهان إلى حدٍّ كبير في نقاط فنية عدة، ولو أن ثبات المستوى الفني أو النتائج الفنية صبّت في مصلحة العهد أكثر ممّا كانت حليفة للأنصار. الفريق الأصفر سيطر على البطولة المحلية، ولم يكسر سلسلة نتائجه الإيجابية سوى الفوز الأنصاري، في مباراة اعتبرها البعض هامشية، لكنها ـ بلا شك ـ حملت دفعة معنوية كبيرة لـ «الزعيم» الأخضر الذي وضع الكأس نصب عينيه لتعويض ما فاته في الدوري، مع إدراكه المسبق أنه لا يقف بينه وبين منصة التتويج سوى بطل لبنان، وخصوصاً بعدما نجح في إقصاء غريمه النجمة بنحو مستحق. الفوز المذكور الذي حققه الأنصار في «دربي» الكأس كسر إلى حدٍّ كبير الكلام عن أن فريق المدرب الأردني عبد الله أبو زمع لا يملك شخصية قوية لتخطي الاختبارات الصعبة في المباريات الحساسة، إذ حتى فوزه على العهد في الدوري لم يبعد عنه هذا الاتهام، الذي لم يتبخّر تماماً، لاعتبار البعض أن مستوى النجمة لم يكن يؤهله أصلاً لتخطي الأنصار، وبالتالي إن المباراة التي سيحتضنها ملعب مدينة كميل شمعون الرياضية الليلة ستحدد إذا ما كان المشروع الأنصاري لا يزال يسير على طريق التطوّر.

> ستصعب القراءة الفنية بالنسبة إلى المدربين بسبب تغييراتهما الدائمة

قواسم فنيّة مشتركة

صحيح أن الفوارق الفنية بين الفريقين كانت كبيرة في بداية الموسم، لكن الصورة العامة للفريقين اختلفت قبل ختامه، لا بل ظهرت بعض القواسم المشتركة بينهما في نقاطٍ محددة، وهي مسألة يمكن أن تصفّ من حسابات المدربَين أبو زمع وباسم مرمر وقراءتهما قبل الموقعة المرتقبة وخلالها. وبدا جلياً أن العهد، مع الاقتراب من المراحل النهائية للبطولة، ثم حسمه لها باكراً، وتالياً انشغاله بكأس الاتحاد الآسيوي، جعله لا يعتمد على تشكيلة ثابتة، بل كانت خيارات مرمر وفق ما تحتاجه كل مباراة لتحقيق نتيجة إيجابية، وبحسب جاهزية لاعبيه، واستناداً إلى ما يملكه الخصم. كذلك أُضيف إلى خلط الأوراق الدائم مسألة عودة كل اللاعبين المصابين والموقوفين إلى التشكيلة، ما اضطره إلى إشراكهم جميعاً، أساسيين أو بدلاء، للإبقاء على جاهزيتهم.

هذه النقطة تترك الأنصار في حالة حيرة حول التشكيلة الأساسية التي سيبدأ بها العهد، وبالتالي قد تكون الحسابات وليدة الساعة، أي خلال مرحلة جسّ النبض التي تبدأ مع انطلاق المباراة. وقد تصعب الأمور تالياً مع لعب مرمر لأوراقه التي غالباً ما تكون رابحة، وخصوصاً أنه كما بات معلوماً يملك مقعد بدلاء لا يمكن مقارنته بنظيره في أي فريق آخر.

أما النقطة الأخرى، فهي صلابة خط دفاع العهد الذي كان الأفضل في الدوري، والذي ينطلق الفريق الأصفر من ثباته لترجمة أدائه الجماعي المميّز إلى أهدافٍ مدروسة ومرسومة بدقة. هذا الخط سيكون أمام الاختبار الصعب، لكونه سيواجه خط الهجوم المرعب للأنصار، الذي كان الأفضل على هذا الصعيد في الدوري.

ومن هذه النقطة يمكن التوقف أيضاً للحديث عن قاسم مشترك. التشكيلة الأنصارية بدورها لا تخلو منها مسألة التغييرات التي تكون مفاجئة أحياناً، كتلك التي وضعت مثلاً عباس عطوي «أونيكا» على مقعد الاحتياط، أو الدفع بالجناح حسين عواضة أساسياً، أو حتى تغيير مراكز عدد من اللاعبين المفاتيح، ما يعقّد مسألة مراقبتهم من قبل الخصوم.

هذه المسألة تنسحب أيضاً على الأداء العام للفريق على أرض الملعب، الذي قد يجبر العهد على القيام بمجهودٍ مضاعف للحدّ من الخطورة الأنصارية. وهنا التصويب على مسألة تبادل المراكز شبه المستمر بين رباعي الهجوم، وتالياً من خلال الدور الحرّ الذي يؤديه أحياناً كل واحدٍ منهم أو بشكل محدد النجم التونسي حسام اللواتي، الذي لا يمكن توقّع ما يمكن أن يفعله من خلال تمريرة حاسمة أو اختراق غير منتظر. حتى الهداف السنغالي الحاج مالك، بات يخرج من مركزه أكثر ويذهب باتجاه وسط الملعب للهروب من الرقابة الدفاعية، ولإراحة لاعبي الوسط الموجودين تحت الضغط، المتوقّع أن يكون أكبر في مواجهة العهد، بفعل الجاهزية البدنية للاعبي الأخير وانضباطهم التكتيكي على هذا الصعيد.

أما الأمر الذي سيكون مقلقاً لمحبي الكرة الهجومية، فهو المبالغة في التحفظ التي يمكن أن يقتل نسقَ المباراة باكراً، في وقت يتوقّع فيه أن يقدّم الفريقان عرضاً يكون الختام المثالي لموسم يريده العهد مثالياً من خلال إحراز الثنائية، ويريده الأنصار حجراً أساساً للموسم المقبل الذي يرى كثيرون أنه سيكون خلاله المنافس الأول والأصعب للعهد، وهو أمر إذا ما كان صحيحاً، يجب على الأنصار تأكيده عن طريق الثاني عشر في «روّلان غاروس» والثامن عشر في البطولات الأربع الكبرى. يدخل نادي البطولة بثقة، ومنتشياً بتتويجه الأحد الماضي بلقب دورة روما للتنس، خامس دورات الألف نقطة للماسترز، للمرة الثانية تواليا والتاسعة في مسيرته، وذلك على حساب الصربي نوفاك ديوكوفيتش. وانفرد نادال بذلك، بالرقم القياسي من حيث عدد الألقاب في دورات الألف نقطة للماسترز، الذي كان يتقاسمه مع ديوكوفيتش، بعدما رفع رصيده إلى (34) لقباً. أما ديوكوفيتش، فيسعى الآن إلى الثأر من نادال وخطف لقب البطولة الفرنسية، ليكتب التاريخ مرة جديدة ويفوز بمسألة التغييرات التي تكون مفاجئة أحياناً، كتلك التي وضعت مثلاً عباس عطوي «أونيكا» على مقعد الاحتياط، أو الدفع بالجناح حسين عواضة أساسياً، أو حتى تغيير مراكز عدد من اللاعبين المفاتيح، ما يعقّد مسألة مراقبتهم من قبل الخصوم.

هذه المسألة تنسحب أيضاً على الأداء العام للفريق على أرض الملعب، الذي قد يجبر العهد على القيام بمجهودٍ مضاعف للحدّ من الخطورة الأنصارية. وهنا التصويب على مسألة تبادل المراكز شبه المستمر بين رباعي الهجوم، وتالياً من خلال الدور الحرّ الذي يؤديه أحياناً كل واحدٍ منهم أو بشكل محدد النجم التونسي حسام اللواتي، الذي لا يمكن توقّع ما يمكن أن يفعله من خلال تمريرة حاسمة أو اختراق غير منتظر. حتى الهداف السنغالي الحاج مالك، بات يخرج من مركزه أكثر ويذهب باتجاه وسط الملعب للهروب من الرقابة الدفاعية، ولإراحة لاعبي الوسط الموجودين تحت الضغط، المتوقّع أن يكون أكبر في مواجهة العهد، بفعل الجاهزية البدنية للاعبي الأخير وانضباطهم التكتيكي على هذا الصعيد.

أما الأمر الذي سيكون مقلقاً لمحبي الكرة الهجومية، فهو المبالغة في التحفظ التي يمكن أن يقتل نسقَ المباراة باكراً، في وقت يتوقّع فيه أن يقدّم الفريقان عرضاً يكون الختام المثالي لموسم يريده العهد مثالياً من خلال إحراز الثنائية، ويريده الأنصار حجراً أساساً للموسم المقبل الذي يرى كثيرون أنه سيكون خلاله المنافس الأول والأصعب للعهد، وهو أمر إذا ما كان صحيحاً، يجب على الأنصار تأكيده عن طريق الثاني عشر في «روّلان غاروس» والثامن عشر في البطولات الأربع الكبرى. يدخل نادال البطولة بثقة، ومنتشياً بتتويجه الأحد الماضي بلقب دورة روما للتنس، خامس دورات الألف نقطة للماسترز، للمرة الثانية تواليا والتاسعة في مسيرته، وذلك على حساب الصربي نوفاك ديوكوفيتش. وانفرد نادال بذلك، بالرقم القياسي من حيث عدد الألقاب في دورات الألف نقطة للماسترز، الذي كان يتقاسمه مع ديوكوفيتش، بعدما رفع رصيده إلى (34) لقباً. أما ديوكوفيتش، فيسعى الآن إلى الثأر من نادال وخطف لقب البطولة الفرنسية، ليكتب التاريخ مرة جديدة ويفوز

المباراة تُلعب على تفاصيل صغيرة (عدنان الحاج علي)

غراند سلام

«روّلان غاروس» تنطلق غداً
الترابُ الفرنسي ينتظر النجوم

بعدما اختُتمت بطولة أستراليا المفتوحة بتتويج اليابانية نعومي أوساكا والصربي نوفاك ديوكوفيتش بطلين عن فئتي السيدات والرجال في كانون الثاني الفائت، تنطلق غداً الاحد ثاني بطولات الغراند سلام في العاصمة الفرنسية باريس. بطولة فرنسا المفتوحة لكرة المضرب والمعروفة بـ«روّلان غاروس». تفتتح منافسات نسختها الـ 123 التي ستستمر لمدة أسبوعين حتى 9 حزيران/يونيو المقبل، بمشاركة نخبة من نجوم اللعبة

زهراء رمال

سيكون جمهور الكرة الصفراء على موعد جديد مع منافسات قوية منتظَرة على الملاعب الترابية. الإسباني رافاييل نادال سيسعى للاحتفاظ بلقبه في البطولة التي احتكر الفوز بها في العامين الأخيرين، ليعلن الآن بدء مشوار البحث عن لقبه الثاني عشر في البطولات الأربع الكبرى. يدخل نادال البطولة بثقة، ومنتشياً بتتويجه الأحد الماضي بلقب دورة روما للتنس، خامس دورات الألف نقطة للماسترز، للمرة الثانية تواليا والتاسعة في مسيرته، وذلك على حساب الصربي نوفاك ديوكوفيتش. وانفرد نادال بذلك، بالرقم القياسي من حيث عدد الألقاب في دورات الألف نقطة للماسترز، الذي كان يتقاسمه مع ديوكوفيتش، بعدما رفع رصيده إلى (34) لقباً. أما ديوكوفيتش، فيسعى الآن إلى الثأر من نادال وخطف لقب البطولة الفرنسية، ليكتب التاريخ مرة جديدة ويفوز ببطولات الغراند سلام الأربع جميعها، مكرراً إنجازه منذ ثلاث سنوات، عندما فاز بروّلان غاروس، ليصبح بذلك أوّل رجل يحمل جميع ألقاب الغراند سلام في نفس الوقت. في المقابل، ستشهد الملاعب الترابية عودة السويسري روجيه فيدرير الذي غاب عن المشاركة في فرنسا المفتوحة في العامين الماضيين، إلا أنه سجل عودته هذا الموسم حين شارك في بطولة مدريد، قبل أن ينسحب من روما بسبب الإصابة. وكان فيدرير قد ودّع منافسات بطولة أستراليا المفتوحة على

> يصل مجموع الجوائز المالية إلى 48 مليون دولار هذا العام

يدي اللاعب اليوناني ستيفانوس تسيتسيباس من الدور الرابع بالدورة. إلا أنّ ذلك لم يُثنِه عن المشاركة في رولان غاروس ومحاولة الفوز باللقب للمرة الثانية في تاريخه.

وفي الوقت الذي يسعى فيه العديد من النجوم إلى كتابة التاريخ ومواصلة إنجازاتهم، حكمت لعنة الإصابة على آخرين بالغياب عن الملاعب. ولن يشارك الأميركي جون إيسنر المصنف (11) على مستوى العالم في هذه البطولة بسبب إصابة في قدمه تعرض لها في نهائي دورة ميامي، إلى جانب البريطاني آندي موراي الذي يزال غائباً لدواعي التعافي من إصابة تعرض لها في فخذه.

وعلى جانب السيدات، فقد أعلنت الروسية ماريا شارابوفا الفائزة مرتين بروّلان غاروس غيابها أيضاً عن نسخة هذا العام بسبب إصابة في كتفها.

وستشهد البطولة هذا العام تعديلات جديدة بحسب ما أعلن الاتحاد الفرنسي لكرة المضرب، حيث كشف عن إضافة حدثَين جديدين لسباق (2019)، وهما الحدثان الفرديان والمزدوجان الكلاسيكيان لمنافسات الكرسي الرباعي المتحرك (الكرسي المدولب). ويشارك في هذه المنافسات لاعبون يعانون من «إعاقة جسدية» دائمة أدّت إلى خسارة كبيرة في الوظائف في ثلاثة أطراف أو أكثر، وتفي بمعايير الحد الأدنى من ضعف الرياضة. إلى جانب ذلك، سيتم تطبيق قانون «السوبر تايبريك» في المجموعة الفاصلة بحسب قرار منظّمي بطولة أستراليا المفتوحة، والذي سيتم بموجبه تطبيق هذا القانون في جميع بطولات الغراند سلام الأربع. نظام السوبر تايبريك يُطبق في حالة وصول النتيجة إلى (6 – 6) في المجموعة الفاصلة على أن يكون الفوز من 10 نقاط، ويستمر اللعب في المجموعة الفاصلة إلى حين فوز أحد اللاعبين بفارق شوطين.

وفي ما يخصّ الجوائز المالية للبطولة، فقد أعلن أيضاً الاتحاد الفرنسي أنّ المبلغ قد زاد بنسبة 8 في المئة عن العام السابق، مع محاولة تضييق الفجوة في الأجور بين الفائزين واللاعبين الذين سيودعون البطولة في أدوارٍ مبكرة. في التنس، اعتاد أصحاب التصنيفات الأولى على تقاسم «الفطيرة»، فيما يُترك الفتات للآخرين. وسيصل مجموع أموال الجوائز إلى 48 مليون دولار هذا العام، على أنّ هذه الزيادة هي جزء من خطة لمدة 4 سنوات لرفع الأرباح التي يجنيها المشاركون من البطولة. سيحصل أبطال اللعب الفردي على 2,62 مليون دولار، على خلاف ما جنوه العام الفائت (2,47 مليون دولار)، في حين سيحصل اللاعبون الذين سيتم استبعادهم في المرحلة نصف النهائية على 662,000 دولار. أما الفائز في البطولة فستزيد جائزته بنسبة 4,55%، في الوقت الذي سيتمتع وصيفه بزيادة أكبر قدرها 5,36%. واللافت هذا العام أنّ الخاسرين من السيدات والرجال في الدور الأول سيحصلون على أرباح متساوية خلافاً للأعوام الفائتة، وذلك بقرار من غي فورجيت مدير البطولة ورئيس الاتحاد برنار غوديسيللي.

يسعى ديوكوفيتش للفوز باللقب (عن الويب)

قضية

النقل التلفزيوني «حاضر ـ غائب»

جمهور الكرة لا يشاهد المباريات

حسين سمور

مرة جديدة تعود قضيّة النقل التلفزيوني للمباريات كرة القدم إلى الواجهة. تُلعب اليوم المباراة النهائية لكأس لبنان بين ناديي العهد والأنصار، ولكن ما حصل خلال مباريات نصف النهائي يتكرّر. المباراة لن تُنقل على MTV بل على قناة ONE التي لا يمكن لنسبة كبيرة من الجمهور اللبناني، في لبنان وخارجه الوصول إليها بسهولة. كما في كل مرة تتعدّد الأسباب التي تقف وراء عدم نقل مباريات تُعتبر مهمّة، سواء في الدوري أو الكأس على القناة الناقلة الأساسية وهي MTV. الجمهور لا يشاهد المباريات، والمسؤولية لا شك تقع على عاتق طرفَين أساسيَين، وهما الاتحاد اللبناني لكرة القدم، والقناة الناقلة أي MTV، ومعهما الأندية.

خلال هذا الموسم نقلت MTV و ONE نحو 55 مباراة بين مرحلتي الذهاب والإياب، وهو رقم يرى الجمهور اللبناني أنه قليل إذا ما تم احتساب جميع مباريات الموسم. المشكلة الأولى التي تواجهها القناة الناقلة بحسب مصادر هي الملاعب، على اعتبار أن عدداً من الملاعب اللبنانية غير مجهّز للنقل التلفزيوني، حيث إنه لا يمكن نشر كاميرات لتصوير المباريات في هذه الملاعب، إضافة إلى عدم وجود إضاءة في معظم الملاعب أيضاً، وهو ما يعيق عملية النقل ليلاً، أو في فترات بعد الظهر أيام الشتاء. تؤكّد مصادر لـ«الأخبار» أن القناة الناقلة تدفع على اللعبة أكثر من الأرباح التي تحصل عليها منها، وهذا يؤثر أيضاً على موضوع نقل المباريات، القناة تدفع لاتحاد الكرة وحده 600 ألف دولار، من دون كلفة النقل التي تصل خلال الموسم إلى نحو 400 ألف دولار، ويضاف هذا إلى تكاليف أخرى متعلّقة بالبرامج الرياضية ليصل المبلغ الإجمالي إلى مليون ومئتي ألف دولار. تشتكي القناة الناقلة دائماً من ضعف سوق الإعلانات في كرة القدم، وهو يؤثر سلباً على المردود المالي. كل هذا يُضاف إلى موضوع برمجة المباريات التي توضع قبل مرحلتي الذهاب والإياب، ومواعيد اللقاءات بحسب القناة غالباً ما تكون على حسابها، أو أن تغييرات تحصل في مواعيد المباريات من دون أن تتمّ مراعاة برامج التلفزيون الناقل. فعلى سبيل المثال مباريات الظهيرة (13:30 أو 14:15 بتوقيت بيروت) لا تجذب المعلنين، كما أنها يمكن أن تتضارب مع مواعيد نشرات الأخبار، وبالتالي هذا يؤثر سلباً على القناة بحسب المصادر. وما طالبت به MTV في البداية لم يتحقّق، حيث إن الدوري لم ينتهِ قبل شهر رمضان، وبالتالي بات هناك تضارب كبير بين البرمجة الرمضانية والمباريات، لذلك يتم النقل على ONE.

الجمهور هو الخاسر الأكبر (عدنان الحاج علي)

ملاحظات القناة الناقلة كثيرة، وأهمها أن العائدات المالية من اللعبة ضعيفة مقارنة مع المصاريف. ولكن كلّ هذا لا يعني الجمهور لا من قريب ولا من بعيد، إذ يعتبر أن من حقه أن يشاهد المباريات، ومن واجب القناة التي قدّمت عرضاً لبثّ مباريات الدوري والكأس أن تفي بالتزاماتها، وتقدّم له هذه الخدمة.

على المقلب الآخر، تؤكّد مصادر لـ«الأخبار» أن برنامج مرحلة الذهاب يتم وضعه بعد موافقة الـ MTV، وأن المشاكل تحصل في مرحلة الإياب، خاصة أن هناك أندية ترفض أن تلعب خارج ملاعبها، وغالباً تكون هذه الملاعب غير مؤهّلة للنقل التلفزيوني، وبالتالي يكون الموضوع متعلقاً بالأندية. وفي موضوع الأندية أيضاً، فإن موضوع إضاءة الملاعب، يتبيّن أن الأندية هي التي تتحمل كلفة إضاءة أي ملعب تقام المباراة على أرضه ليلاً، وبالتالي تحاول هذه الأندية الضغط لتكون مبارياتها خلال النهار، لكي تتجنب كلفة إضاءة الملاعب. هنا يعود النقاش إلى نقطة أساسية، وهي أن كلّ ناد يجب أن يكون لديه ملعب خاص ومجهّز. ومن النقاط التي تؤخذ على القناة الناقلة عدم دفع المتوجب عليها للاتحاد، لكي يقوم هذا الأخير بالدفع للأندية، فالمبلغ المتبقي للاتحاد في ذمة القناة يصل إلى حوالى 680 ألف دولار.

> المسؤولية تتوزع على الأندية والاتحاد والقناة الناقلة

المشكلة متشعبة وحلّها ليس بالسهل، مشكلة الملاعب، ومشكلة «تدليع» الاتحاد للأندية، إضافة إلى التلفزيون الناقل الذي يقدم المسلسلات والبرامج الفنية والبرامج المدفوعة الأجر، على حساب كرة القدم، رغم أنه هو نفسه تقدم بملف لنقل هذه المباريات. كل هذه المشاكل وحتى العجز المالي وغياب المعلنين لا يتحمله الجمهور، هذا الأمر يتحمله من يدير اللعبة، والقناة الناقلة أيضاً على اعتبار أنها هي التي تعرف الظروف قبل أن تتقدّم بأي عرض، وبالتالي فإنّ الجمهور هو الخاسر الأكبر، ومعه تأتي اللعبة التي تغيب عن الشاشات.

لا ليغا

«يد ليونيل فوق أيديهم»
كرة ذهبية سادسة في الانتظار!

حسن رمضان

إذا كان هناك سبب وحيد وراء تجديد الثقة بالمدرب الباسكي إرنستو فالفيردي، ليبقى مع النادي الكاتالوني الموسم المقبل، فلا بد أنه نجم الفريق وقائده الأرجنتيني ليونيل ميسي. الأخير، بحسب الإحصاءات، كان اللاعب الأفضل في الدوري، إذ إنه يتصدّر ترتيب الهدّافين برصيد 36 هدفاً، مبتعداً بفارق 15 هدفاً عن صاحبي المركز الثاني، وهما كريم بنزيما مهاجم ريال مدريد وزميله لويس سواريز (21 هدفاً لكل منهما). جائزة البيتشيتشي الجديدة ستجعل ليونيل يعادل رقم تيلمو زارا، الذي أحرز لقب الهداف في الليغا في (6) مناسبات. يتصدّر الـ«برغوث» أيضاً ترتيب صانعي الأهداف بـ(13) تمريرة حاسمة.

من لا يعرف قيمة ميسي، فعليه أن ينظر إلى أرقامه في الدوري، الذي يخوض خلاله (38) مباراة. يحافظ ميسي على ثبات مستواه في الدوري المحلي، وهو ليس بالأمر السهل. مع الإقصاء المفاجئ والصدمة الكبيرة التي تعرّض لها النجم الأرجنتيني وزملاؤه في دوري أبطال أوروبا، قبل الكثير من الكلام عن ميسي ورفاقه، وعن الإخفاق في مرحلة الإياب.

ميسي، قبل بداية الموسم، وعد الجماهير الكاتالونية بأنه سيبذل قُصاراه ليعيد اللقب الأهم في أوروبا إلى ملعب الكامب نو. كان قادراً على تحقيق هذا الوعد، بل إنه حققه على المستوى الفردي، إذ إن اللاعب الأرجنتيني يتصدّر أيضاً قائمة هدافي دوري أبطال أوروبا بواقع (12) هدفاً، مبتعداً بأربعة أهداف عن مهاجم بايرن ميونيخ البولندي روبرت ليفاندوفسكي (غاب ميسي عن مباراتين في دوري الأبطال بسبب الإصابة). تمكّن ابن «لاماسيا» من الحصول على جائزة أفضل لاعب في الأسبوع في دوري أبطال أوروبا خمس مرّات، من بينها اثنتان ضمن الأدوار الإقصائية. ليونيل قام بواجبه في مباراة الذهاب أمام ليفربول، إذ سجّل هدفين، أحدهما بطريقة ساحرة، سهّلا الأمور كثيراً على زملائه في مباراة الإياب، لكن الفرحة لم تكتمل، وحلّت الصدمة والمفاجأة التي لم يكن ليتوقعهما أحد، فخسر برشلونة مباراة الإياب بأربعة أهداف نظيفة، لتتبخر الأحلام.

بهدفيه أمام إيبار في الجولة الأخيرة من «الليغا» الإسبانية، يكون قد سجّل ليو حتى الآن في الموسم ككل، أي في جميع البطولات، (50) هدفاً، إضافة إلى صناعته لـ(22) هدفاً أخر. أرقام «خرافية» من لاعب يستطيع أداء دورين مختلفين في ذات الوقت. الدور الأوّل يتمثّل بكونه هدّاف الفريق في المواسم الماضية، رغم وجود الأوروغوايانيين لويس سواريز. أما الدور الثاني، فهو صناعة الألعاب، في ظلّ وجود البرازيلي فيليبي كوتينيو. يتفوّق ميسي على جميع اللاعبين في مختلف الدوريات، بتسجيل الأهداف، أمّا في صناعتها، فيبقى الصربي نجم أياكس أمستردام دوشان تاديتش متفوّقاً عليه بثلاث تمريرات حاسمة فقط. قائد المنتخب الأرجنتيني يتحدّى نفسه هذا الموسم، بعد أن تجاوز جميع اللاعبين، خاصة الذين ينشطون في المراكز عينها التي يشغلها ميسي خلال الموسم (مركزاً خطي الوسط والهجوم).

> فاز ميسي بالعدد الأكبر من الجوائز الفردية في الدوري هذا الموسم

مبابي يعترف

في تصريح له بعد تسلّمه جائزة أفضل لاعب في فرنسا وأفضل لاعب شاب أيضاً، قال النجم الواعد لنادي باريس سان جيرمان كيليان مبابي، إن ليونيل ميسي هو الأحق بالفوز بالكرة الذهبية، بغضّ النظر عن خروجه أمام ليفربول بدوري الأبطال، فقد قدم ليو موسماً مميزاً يستحق عليه الكرة الذهبية. مبابي كان المنافس الوحيد لميسي على جائزة الحذاء الذهبي (هداف الدوريات الأوروبية الكبرى)، إذ سجّل الفرنسي (32) هدفاً حتى الآن في الدوري الفرنسي، أي بفارق (4) أهداف عن متصدّر سباق «الغولدن بوت»، تمكّن ليو من تحقيق لقب الدوري، وها هو يتّجه يوم غد السبت لتحقيق لقب كأس ملك إسبانيا، عندما يواجه برشلونة نادي «الخفافيش» فالنسيا، في مباراة تميل كفتها إلى مصلحة ميسي ورفاقه.

لقبان محليان، إضافة إلى جوائز فردية عدّة، قد تكون كافية ليحقق ميسي لقباً فردياً هو الأهم في مسيرة أي لاعب كرة قدم، وهو الفوز بالكرة الذهبية، لكن قبل الحديث عن أحقية ميسي في هذه الجائزة، ليو اليوم لم يبعد كما كان في السابق. اختلفت أهدافه وتوجّهاته. ميسي، تعرّض للكثير من الصدمات والعقبات في مسيرته الاحترافية، لعلّ أبرزها عدم تحقيق أيّ لقب مع منتخب بلاده الأرجنتين. «كوبا أميركا» باتت على الأبواب، وميسي، سيمرّ بالحالة النفسية والذهنية عينها، التي يمرّ بها كلما ارتدى قميص «الألبي سيليستي»، خرج نجم الأرجنتين من دوري أبطال أوروبا للمرة الرابعة توالياً من دون أن يحمل اللقب، كل هذه الأحداث، من الممكن أن تدفّر أي لاعب، فكيف إذا كان هذا اللاعب هو ميسي، الذي تنتظر منه الجماهير تحقيق كل شيء. ليونيل لم يحضر حفل توزيع جوائز الدوري الإسباني، رغم فوزه باغلبية الجوائز الفردية، وكأنه يقول، لم أعد أريد كل هذه الجوائز الفردية. تصرف غير مقبول بحسب العديد من النقاد والمتابعين، إلا أنه يدل على تأثر ميسي بالضغوط، وأن عقله في مكان آخر، وتحديداً في دوري أبطال أوروبا الذي خسره مرة جديدة. يفتقر ميسي إلى شخصية القائد، وهو لا شك يفكر اليوم في كوبا أميركا، على اعتبار أنها الفرصة الأخيرة له للتتويج بلقب مع المنتخب.

يبقى ميسي برأي الكثيرين الأفضل في العالم، ومنهم من يصنّفه الأفضل في التاريخ، نظراً إلى الدور الكبير الذي يؤديه على أرضية الملعب، وللتاريخ الذي دوّنه، ولا يزال يفعل عند كل استحقاق مع البلاوغرانا.

يخوض نادي برشلونة حامل اللقب أربع مرات متتالية مباراة نهائية حذرة ضد فالنسيا (اليوم 22:00 بتوقيت بيروت) في نهائي كأس إسبانيا لكرة القدم، بعد خروجه المذل من نصف نهائي دوري أبطال أوروبا. المباراة يستضيفها ملعب «بنيتو-فيمارين»، ولن يكون تحدي برشلونة سهلاً في ظل الفورة الرائعة التي حققها فالنسيا في نهاية موسمه في الدوري وضمانه التأهل الى مسابقة دوري أبطال أوروبا. وبعد الفوز الأخير على بلد الوليد، احتفل لاعبو فالنسيا وكانهم احرزوا لقب الدوري. وقال مدربهم مارسيلينو «لم يكن قلب الأمور سهلا. لكننا نجحنا في ذلك». (أوسكار دل بوزو ـ أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3167

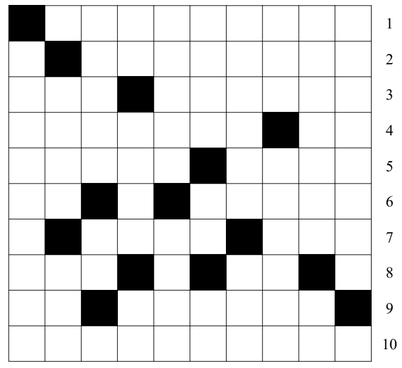

أفقيا

1- رئيس مجلس نيابي لبناني راحل - 2- عاصمة الأمراء الشهابيين في التاريخ اللبناني ادرجت سنة 1945 على لائحة التراث العالمي - 3- شبكة تلفزيونية فضائية عربية ضخمة مركزها دبي - كرسي الملك - 4- حرف جر - من أشهر شعراء العصر العباسي - 5- طائر حسن الصوت - نظارات بالإنجليزية - 6- أرخبيل في المحيط الهندي تحديداً في القارة الإفريقية عاصمتها بورت فيكتوريا - أمر خفي - 7- يقلق ويحزن - من أسماء السيف - 8- رخو ليّن من كل شيء - جوابي على السؤال - 9- أحد أباطرة المغول المشهورين في الهند - للإستدراك - 10- إحدى المحطات التلفزيونية اللبنانية

عمودياً

1- رئيس عراقي راحل - 2- مغنية وراقصة أميركية مشهورة - ضمير منفصل - 3- أحرف متشابهة - وضع عليهما علامات بغرزهما بالإبر - 4- نسبة الى مواطن من بلد أسيوي - واحدة من الغنم للذكر والأنثى - 5- غذاء الأطفال - لاصقُ النسب - للنداء - 6- مطعون بخنجر حتى الموت - عاصمة أسيوية - 7- والدة - ممثلة مصرية معتزلة - رمى الماء من فمه - 8- بلدة لبنانية بقضاء كسروان - طعم الحنظل - 9- عائلة وزيرة خارجية أميركية سابقة - إمارة عربية - 10- مدينة بريطانية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- وريد - بلوري - 2- إسلام أباد - 3- دابر - بايدن - 4- يم - وع - بل - 5- كيوي - دنو - 6- لورنس - حرجل - 7- مهبّ - جرم - 8- لن - الدبغ - 9- غوته - يهضّ - 10- كلرمون فرّان

عمودياً

1- وادي الملوك - 2- رسّام - وهن - 3- يلب - كرب - غر - 4- داروين - بوم - 5- عوسج - تو - 6- باب - راهن - 7- لباب - حمل - 8- وايلدر - دير - 9- ردّد - نجيبها - 10- نمولّ - غصن

sudoku 3167

	9			6				8
4		1					7	
	8		4		7	6		
	3		6		9		4	
9	2						8	6
	1		3		2		5	
6					3			4
	7			2				
		8	5			7	2	1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3166

6	9	5	7	4	2	1	8	3
4	2	3	1	9	8	6	7	5
1	7	8	3	5	6	2	4	9
5	3	7	2	6	1	4	9	8
2	4	1	9	8	7	3	5	6
9	8	6	4	3	5	7	2	1
7	6	9	8	1	4	5	3	2
8	1	4	5	2	3	9	6	7
3	5	2	6	7	9	8	1	4

مشاهير 3167

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر وروائي ومسرحي فرنسي (1868- 1918). وُلد في مرسيليا. إشتهر بمسرحياته البطولية منها « النسر الصغير » عن حياة نابليون بونابرت

6+2+7+8 = جزيرة يونانية ■ 9+5+3+4 = تكبر النبتة ■ 11+10+1+8 = وكالة الفضاء الأميركية

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: منير كسرواني

حول العالم

لايبزيغ يحلم بالتتويج

يلتقي اليوم نادي لايبزيغ الألماني، نظيره بايرن ميونيخ على الملعب الأولمبي في برلين في نهائي كأس ألمانيا لكرة القدم. النادي البافاري يريد تأكيد تفوقه وتحقيق الثنائية المحلية، أما لايبزيغ فيريد أول ألقابه، وذلك بعد ثلاث سنوات في الأضواء، حيث بات لايبزيغ يملك فرصة كتابة التاريخ. وصعد لايبزيغ أربع درجات في سبعة مواسم، وحلّ وصيفاً لبايرن في موسمه الأول في البوندسليغا (2016-2017). ونجح في التأهل الأوروبي في كل من مواسمه الثلاث الأخيرة.

ليبي يعود إلى الصين

عاد المدرب الإيطالي مارتشيلو ليبي للإشراف على منتخب الصين لكرة القدم بعد أربعة أشهر على ترك منصبه. وكان مواطنه فابيو كانافارو تسلّم تدريب المنتخب الصيني في آذار/مارس الماضي خلفاً لليبي الذي ترك منصبه بعد الخروج أمام إيران، في الدور ربع النهائي من كأس آسيا في الإمارات مطلع العام الحالي، لكنّه لم ينجح في مهمته، وتنحّى عن منصبه بعد مباراتين فقط انتهتا بخسارتين أمام تايلاند وأوزبكستان بالنتيجة ذاتها (1 . 0).

وستكون المهمة الرئيسية لليبي قيادة منتخب الصين إلى نهائيات مونديال قطر 2022، علماً بأن المارد الصيني شارك مرة

واحدة في النهائيات العالمية عام 2002 وخرج من الدور الأول.

وجاء في بيان صادر عن الاتحاد الصيني، «منذ أن تولى ليبي تدريب المنتخب الوطني، أظهر إيجابية وروحاً قتالية عالية». وأضاف، «نؤمن بأن المنتخب الوطني سيتمكّن، بقيادة ليبي وجهازه الفني، من ترك أثر كبير في تحقيق حلم كأس العالم».

أتالانتا قريب من الأبطال

يقف نادي أتالانتا الإيطالي على عتبة تأهّل تاريخي إلى دوري أبطال أوروبا، عندما يستقبل ساسوولو يوم غد الأحد في المرحلة (38) الأخيرة من الدوري الإيطالي لكرة القدم (21:30 بتوقيت بيروت). وسيكون مصير أتالانتا بين يديه، إذ يحتاج إلى نقاط الفوز الثلاث للتشبث بمركزه الثالث والتأهل إلى المسابقة القارية للمرة الأولى في تاريخه الذي يمتد إلى 111 سنة. وفي ظلّ تجديد ملعب أتالانتا، سيخوض الأخير المباراة على ملعب «مابي» التابع لساسوولو، والذي سيخوض عليه مبارياته في دوري الأبطال بحال تأهله إلى المسابقة القارية.

ويعدّ فريق المدرب جانبييرو غاسبيريني أحد أربعة أندية تتصارع على تذكرتين للتأهل إلى المسابقة الأولى. ضمن يوفنتوس التذكرة الأولى بإحرازه اللقب الثامن توالياً. ويحتل أتالانتا المركز الثالث مع (66) نقطة من (37) مباراة، بفارق المواجهات المباشرة عن إنتر الرابع، فيما يملك ميلان الخامس (65) نقطة وروما السادس (63).

البطريرك ـ الزعيم: نظرة مغايرة لصفير

أسعد أبو خليك *

تتنافس الطائفيّات اللبنانيّة وتتبارز، وكل واحدة تحاول أن تثبتَ تخلّف الأخرى وأن تبرز وتثني على صفاتها هي دون غيرها. عندما كان بعض المسلمين (ويتحرّيض من دول ومن منظمّات إسلاميّة) يحتجّون على كتاب سلمان رشدي أو على الرسوم الكاريكاتور الدنماركيّة، كان البعض في الكنيسة (في لبنان وخارجها) يعظونهم بضرورة قبول النقد والرأي الآخر، وأن يكون دينهم رحب الصدر. لكن هذا الأسبوع شهد صخب كنسي وشعبي ومسيحي مُسيّس ضد بشارة الأسمر بسبب سخريته من الإفراط المذهل في تبجيل البطريرك صفير وفي تحويله إلى قدّيس بعد مماته؛ وأتت سخريته على حسابه هو، عندما سخر من مصاعبه الجنسيّة ومن تساقط شعره.

لكن ردّ الفعل على قوله تخطّى المعقول في القرن الواحد والعشرين. وبيان البطريرك الماروني، ردّاً على «نكتة» الأسمر، أعادنا إلى القرون الوسطى، إذ إنه حكمَ أن الأسمر فقد «الأهليّة للاضطلاع بمسؤوليّة تتعلّق بالشأن العام». لكن ما علاقة الكنيسة أو الجامع بأهليّة أي كان في الاضطلاع بالمسؤوليّة العامّة؟ وأكّد الراعي أن أبواب بكركي ستبقى «مقفله أمامه إلى حين تكفيره وتعويضه عن خطيئته». فلنقارن هذا الردّ من البطريرك بسلوك البابا يوحنّا بولس الثاني الذي غفر للشاب الذي أطلق النار عليه، واجتمع البابا معه وصلّى من أجله. وهذا التدخّل السافر من قبل الكنيسة في الشأن العام يثبتُ مرّة أخرى أن كل الطوائف والأديان في لبنان سواء من ناحية عدم احترام أي فصل بين المؤسّسة الدينيّة وبين الشأن العام والمجتمع، وأن المؤسّسات الدينيّة تقحم نفسها دائماً في ما لا يعنيها ـ أو في ما لا ينبغي أن يعنيها، لكنها ترى أن ليس هناك تحت الشمس ما لا يعنيها. الأديان والطوائف في لبنان تقبل النقد والسخرية من رجال الدين فقط إذا كانوا من دين وطائفة أخرى، ويثورون لو أن النقد والسخرية طالهم هم. والبطريرك الراعي هو الذي كان وراء مشروع إنزال «الحرم الكبير» على ضفاف «الوحيد الصفير» في عهد سلفه (طبعاً، حضر عبده أبو كسم الإعلان يومها، إذ إنه لا يفوّت إعلان قمع أو مراقبة أو حرم). لكن عندما يتدخّل رجال الدين في السياسة ـ والبطريرك يتدخّل منذ إنشاء الجمهوريّة ـ يصبح لزاماً على الناس التمتّع بحريّة نقد وسخرية من كل رجال الدين، المسيحيّين والمسلمين على حد سواء. رجل الدين عندما يتدخل في السياسة يصبح رجل سياسة، ولا يجوز أن يتستّر برداء رجل الدين لحماية نفسه من النقد ومن السخرية.

إن وفاة البطريرك صفير مناسبة لتقييم علاقة الحيّز الديني بالدولة في لبنان. من المعلوم أن لبنان دولة فريدة من حيث تداخل الطوائف والأديان مع الدولة ومعارضة المؤسّسات الدينيّة لعلمنة الدولة والمجتمع. والأحزاب اليساريّة في لبنان تقاعست عن دفع العلمنة، والشيوعيّون هادنوا الأديان والطوائف لأسباب سياسيّة. وقيادة كمال جنبلاط للحركة الوطنيّة كان من الطبيعي ألا تدفع بالعلمنة عميقاً، وأن تكتفي الحركة بشعار «إلغاء الطائفيّة السياسيّة» على أساس أن الأولويّة والأصناف الأخرى من الطائفيّة صحيّة للمجتمع والدولة.

وما عبّر عنه الأسمر بطريقته السوقيّة (لماذا اعتبرها البعض ذكوريّة؟) هل السخرية من رجل لضعفه الجنسي هي من الذكوريّة، خصوصاً أنه قرن ذلك بالشكوى من الصلع؟) هو ما غاب عن التغطية الإعلاميّة. إن وسائل الإعلام اللبنانيّة (لا بل والسعوديّة لغاية في نفس محمد بن سلمان) تطرّقت كثيراً في تبجيل وتعظيم وتقديس البطريرك الراحل. وما يزيد في حدّة المبالغة أن محطة الأنعاليّة اللبنانية الطائفيّة، «إل.بي.سي» (والتي يحلو لها متى تشاء أن تتزيّن بلباس المجتمع المدني) تتنافس في جذب الجمهور الطائفي مع محطة أخرى للأنعاليّة اليمينيّة الرجعيّة، أي «إم.تي.في». وهذا التنافس يدفع ثمنه المشاهد والمشاهدة من مبالغة في تعظيم البطريرك وفي تصنّع الإيمانيّة وفي تغطية حوادث السير في مناطق معيّنة (ذات أغلبيّة طائفيّة واحدة) دون غيرها من المناطق. وتظهر الطائفيّة في المحطتيْن أكثر ما تظهر في الغلبة الطائفيّة الواحدة للعاملين والعاملات فيها، خلافاً لمحطة «المستقبل» و«الجديد» اللتيْن تتمتّعان بتنوّع طائفي في التوظيف.

والمفارقة لا تصبح مفارقة عندما تتكرّر، تصبح عادة متأصّلة. موقف الليبراليّين والعلمانيّين من 14 آذار (ويمينها المرتدي لباس بساريّة او مدنيّة مزيّفة بناءً على أحوال الطقس) كان متوقّعاً: اختفت كل جماعة جوقة «جو سوي» الذين دافعوا عن حق مجلّة فرنسيّة في إهانة المسلمين والإسلام. ماذا كان سيكون موقف هؤلاء لو أن الأسمر أطلق نفس النكتة والسخرية ضد علي خامنئي أو حسن نصر الله مثلاً؟ ألم يكن كل هؤلاء قد تجمّعوا، بإهانة السفير السعودي، في ساحة من ساحات بيروت ورفعوا الأقلام والرايات الخضر؟ لا، أسبغ بعض هؤلاء المديح على البطريرك ودافعوا عن تجريم مُطلق النكتة وتذكّروا فجأة سوء إدارته وفساده في الاتحاد العمّالي. الأسمر كان يجب أن يُعتقل ويحاكم، لكن ليس على نكتة بل على استئثاره بتمثيل مزيف للحركة العمّالية والمسيّر تحت راية سلطة سياسيّة.

ولا شكّ في أن مرائي البطريرك من قبل ساسة لبنان شابها الكثير من النفاق. وليد جنبلاط يجعل من نفسه المُعجَب الأكبر بصفير، وهو لا يتوقّف عن التذكير المملّ بـ«اتفاق الجبل»، ويتناسى تاريخاً طويلاً من الإهانات التي كان قد وجّهها إلى صفير وإلى الكنيسة والى الطائفة الماروني. النفاق في أن «القطاع العمّالي» في الحزب التقدّمي الاشتراكي أدان واستنكر واعترض على سخرية بشارة الأسمر، وطالب بإنزال أشدّ العقوبات به من دون مقارنة ما قاله الأسمر بما قاله جنبلاط قبل سنوات. وبعض انتقادات جنبلاط لصفير عبر السنوات كان أصحّ وأحقّ من مدائحه المتأخرة؛ ففي عام 1994، يوم اعترض البطريرك على تجنيس مسلمين لأنهم «لم يتشبّعوا من روح» لبنان، ردّ عليه جنبلاط بالقول: «إن هؤلاء (المجنّسين) أوباش لا يحسنون استعمال الشوكة والسكين، هؤلاء لا يتكلّمون اللبنانيّة... يجب أن يمرّوا على مختبر (فحص الدم في بكركي) و... الكسليك» («النهار»، 21 تمّوز، 1994). والذي أطلق وصف «الوحيد الصفير» على صفير كان وليد جنبلاط. أما نبيه برّي فقال عن صفير «إن مارونيّته تتقدّم على لبنانيّته» (أنطوان سعد، «السادس والسبعون»، جزء 1، ص.164). وقال جنبلاط عن صفير إنه «كان مع الطائف ثم انقضّ عليه وهو لا يدري ماذا يريد» («الحياة»، 18 كانون الأول / ديسمبر، 1992). أما عن الجيش السوري في لبنان فقد كان جنبلاط من أشدّ المتعصّبين لوجوده الأبدي، وردّ على البطريرك في هذا الشأن قائلاً: «لماذا لا تبدر كلمة جيش إسرائيلي أو انه يحدد فقط الجيش الماروني؟ يريد أن ينسحب الجيش السوري، فماذا سيحصل لنا؟»... لو عادت لي، لأنشأتُ وزارة إصلاح زراعي في لبنان وأقمتُ كل أملاك الكنيسة ووزعتها على الفقراء من المسيحيّين» («السفير»، 13 كانون الأول / ديسمبر، 1993). ولم يكن البطريرك يكنّ الكثير من الودّ لجنبلاط الذي قال عنه إنه «متقلّب في آرائه وقادر على اتخاذ الموقف ونقيضه في غضون ساعات» (أنطوان سعد، «السادس والسبعون: مار نصر الله بطرس صفير»، الجزء الثاني، ص. 301). كم تكون الحياة السياسيّة مسلّية اكثر لو أن الساسة ورجال الدين يتحدّثون في العلن كما يتحدّثون في السرّ.

البطاركة والتاريخ السياسي المعاصر

لعب البطاركة أدواراً سياسيّة متباينة في التاريخ السياسي المعاصر للبنان. كانت الدولة الفرنسيّة ترعى البطريركيّة وتتعامل معها كوسيط بينها وبين المجتمع الذي كانت تتوجّه له بالمخاطبة، وحده دون الطوائف الأخرى الهامشيّة يومها. قال البطريرك عريضة في فرنسا: «الفرنسيّون كانوا ولا يزالون أصحابنا وقد خدموا لبنان خدمات جليلة ونفعونا نفعا جزيلا» («المعرض»، تشرين الثاني، 1932). والبطريرك لم يكن مُنتخباً دوماً (كانت الفاتيكان تعيّن، وكانت تاريخياً ترسل مبعوثين للتأكّد من مسيحيّة الموارنة، كما فعلت في عام 1567، عندما عهدت إلى وفد (بعد أن طلب البطريرك الجديد، مخايل ابن الرز، درع التثبيت) لأن الريبة لرعاية وإغاثة اللاجئين الفلسطينيّين بعد النكبة، كما أنه عمل على رعاية النازحين الفلسطينيّين مرّة ثانية بعد حرب 1967 وشارك هو المسلمين في تشكيل «هيئة نصرة الجنوب». لكن اليمين الانعزالي حكمَ ضدّه مبكراً وشكّك في نيّاته. كان سليمان فرنجيّة يقول عنه: «حتى رشيد كرامي لا يقول [إخوتنا الفلسطينيين]» فيما خريش لا يشير إليهم إلا بـ«إخوتنا الفلسطينيين» (أنطوان سعد، «السادس والسبعون»، ص. 63). لكن جريمته الكبرى أنه في لقاء شهير عشيّة الحرب، رفض تسخير الموارد الماليّة للكنيسة من أجل تسليح الميليشيات التي أدارها زعماء الموارنة المصمّمين على شنّ الحرب الأهليّة، ورفض الانجرار لمباركة حروبهم (أنطوان سعد، جزء 1، ص. 15). هذا ما أخرجه عن سلطة بكركي وأصبح خريش مغرّداً خارج سربه.

لم يكن البطريرك صفير مرشحاً جدّياً للبطريركيّة. على العكس، فإن عمليّة «انتخاب» البطريرك في نيسان 1986 كانت عرضة لتدخّلات داخليّة وخارجيّة جمّة. لم يختر الفاتيكان البطريرك، إذ علم أن الكنيسة اللبنانيّة ستعارض ذلك (وهي كانت قد اختارت البطريرك المعوشي في عام 1955 من دون انتخاب) لكنها روّجت للمطران إبراهيم الحلو (وهو كان قريباً من خريش) فيما أبدت الرهبانيّات الماروني و«القوّات اللبنانيّة» المطران يوسف الخوري. وحتى مخابرات الجيش الذي كان يديره الرئيس أمين الجميّل، تدخّلت في عمليّة الانتخاب والتأثير على الأساقفة. لكن توالي الدورات الانتخابيّة من قبل الأساقفة الموارنة من دون حصول أي من الحلو او الخوري على أكثريّة ثلثيْ المجمع، جعلت النائب البطريركي، صفير، مرشح تسوية، وهكذا كان.

> كاتب سيرة صفير، يقول إن جعجع وصفير لم ينسجما على الصعيد الشخصي لغياب الكيمياء بينهما
>
> خلافاً لمعظم طاقم 14 آذار، لم يقم علاقات مع المخابرات السورية في لبنان، ولم يهادن النظام الذي اطاعه كثيرون

لا شكّ في أن صفير كان زعيماً سياسيّاً متحالفاً على الغالب مع الخطّ العام لفريق «القوّات». لكن المفارقة أن كاتب سيرة صفير، أنطوان سعد، يقول إن جعجع وصفير لم ينسجما على الصعيد الشخصي لغياب الكيمياء بينهما (من ينسجم على الصعيد الشخصي مع سمير جعجع، ومن يشعر بتطابق الكيمياء مع الرجل؟). وأصبح صفير زعيماً سياسيّاً، خصوصاً أن الانقسام المسيحي في عهد الجميّل وما تلاه، وفي عهد ما بعد الطائف نتيجة نفي وإبعاد وقمع قيادات وأحزاب مسيحيّة، عزّز حكماً من موقعه ومن نفوذه. توّلى صفير دوراً شبيهاً بدور المرجع العراقي علي السيستاني: إعلان الزهد في السلطة بنّاقضه التدخّل في أدقّ التفاصيل السياسيّة. وقد خالف صفير قانون الانتخاب النيابي في عام 2009 عندما أصدر بياناً فريداً من نوعه في التحريض الطائفي، وذلك بطلب من سمير فرنجيّة ودوري شمعون (طبعاً، لم يعترض وزير الداخليّة، زياد بارود، على البيان قبل ساعات من الانتخاب، بسبب قربه الروعي الشديد من البطريرك).

(جوزف عبد ـ أ ف ب)

لم يكن صفير صاحب مشروع سياسي، بل كان صاحب مشروع كنسي. وهو كان يعتبر أن الكنيسة هي الأساس في بناء الدولة، وأن الدولة هي لحماية الكنيسة. وهذا ما عبّر عنه في عظة عيد الصليب في عام 1990: «إن الكنيسة هي الأساس في بناء الدولة، وإن الدولة هي لحماية الكنيسة». وهذا ما يفسّر أن صفير لم يكن يعتبر أن الدولة هي دولة المسلمين والمسيحيّين، بل دولة المسيحيّين وحدهم. وهذا ما يفسّر أن صفير لم يكن يعتبر أن الدولة هي دولة المسلمين والمسيحيّين، بل دولة المسيحيّين وحدهم. وهذا ما يفسّر أن صفير لم يكن يعتبر أن الدولة هي دولة المسلمين والمسيحيّين، بل دولة المسيحيّين وحدهم.

إن موضوع العلمانيّة بات مادة سجاليّة بين الطائفيّين المسلمين والمسيحيّين. المسلمون يذكّرون بامتيازات الكنيسة، فيما يزايد البعض على المسلمين بالقول إن الإسلام لا يسمح بفصل الدين عن الدولة. لكن اعتراضات الكنيسة الرسميّة على أفلام وكتب وعلى تصريحات ونكات لا تعجبها تسخر من زعم قبول الكنيسة ودعاتها بفصل الدين عن الدولة. على العكس، إن مناسبة الحداد على البطريرك صفير تشير إلى موقع البطريرك السياسي لو أراد. إن القيادات الدينيّة الإسلاميّة الرسميّة معروضة في أكثرها للبيع والإيجار، وهي خاضعة للأحزاب المدنيّة او الشخصيّات المدنيّة أو لبلاد خارجيّة تموّلها. ليس هناك من زعيم في الطرف الإسلامي يتبع لمرجع ديني، وهذا حسن. إن قدرة لبنان على التخلّص من سطوة رجال الدين السياسيّة هي خطوة على طريق الفصل بين الدين والحكم. أما صفير، فقد كان فوق السياسيّين المسيحيّين أنفسهم. ترى الكثير من المثقّفين المسيحيّين (المولد والإيمان) يزورون البطريرك للتبرّك، خصوصاً إذا كانت لديهم طموحات سياسيّة. والبطريرك بدأ منذ 1988 بتقديم قوائم ترشيحات رئاسيّة، وامتعض في 1988 لأن قائمته لم يُؤخَذ بها. هل يمكن أن يقرّر الشيخ عبد الأمير قبلان شخصيّة رئيس مجلس النوّاب او أن يقرّر المفتي عبد اللطيف دريان شخصيّة رئيس الحكومة؟ حتماً لا، لكن هذا لا يعني أن الواقع الإسلامي منفصل عن الدولة، خصوصاً أن رجال الدين ورؤساءهم يتلقّون رواتب من الدولة وتستفيد محاكمهم الدينيّة ماديّاً من عدم وجود محاكم مدنيّة في لبنان. لكن البطريركيّة الماروني ودورها السائد تدحض القول إن الواقع المسيحي متقدّم من العلمانية عن الواقع الإسلامي.

لا، لم يكن تكريم صفير وتعظيمه محلّ إجماع، ولن يكون (حتى لو بدأ البحث حثيثاً من الآن لتحديد خوارق ومعجزات ثلاث). يتذكر الكثير من اللبنانيّين مواقفه المهادنة للعدوّ الاسرائيلي، ويتذكّرون أيضاً أن الحريص على السيادة عاد في حماة حرب تموز على متن طوّافة عسكريّة أميركيّة، وطمأن اللبنانيّين إلى أن المحافظين الجدد الذين التقاهم في واشنطن حريصون على لبنان ولا يريدون وقفاً للنار قبل التأكد من مضمونه وفق شروطهم (التي وصفها بأنها «معقولة ومقبولة»، أي شرط نزع سلاح حزب الله، الذي كان مرادهم). ويتذكّر اللبنانيّون تاريخاً غير مكتوب بعد من التواطؤ والتعاون والتحالف بين البطريركيّة الماروني والحركة الصهيونيّة قبل تأسيس دولة العدو وبعده. ومسموح أن يُكتب عن ذلك وعن الاتفاقيّة الموقّعة بين «الوكالة اليهوديّة» (الدولة قبل إنشائها) وبين البطريركيّة في عام 1946، لكنه ممنوع علينا الحديث عن ذلك. وهو أيْن رسميّاً مجرم الحرب العريق، عقل هاشم، وقال عنه بلسان ممثّله المطران مارون صادر: «إن غبطة سيدنا البطريرك كلفني أن انوب عنه وأن اترأس هذه الحفلة الجنائزيّة، وأن أقدّم لعائلته ولجميع المفجوعين به تعازيه الأبويّة، وأن أعرب لكم في هذا الظرف الصعب عن عواطفه وعن محبته وتضامنه معكم. أتوقّف عند حياة الفقيد الفاضل، لقد عرفته كما عرفناه رجل إيمان وأباً عطوفاً حنوناً وإنساناً محباً للجميع، لقد غسل بدمائه تراب هذه المنطقة». وكان المجرم هذا يحمل الجنسيّة الإسرائيليّة.

لم تغفر الكنيسة لبشارة الأسمر نكتة، وهل من المطلوب أن نغفر نحن، خصوصاً أهل الجنوب اللبناني الذي عرف حقّ المعرفة جرائم العدوّ وجرائم أدواته عبر العقود، تبنّي البطريرك صفير لمجرم الحرب عقل هاشم؟ حتماً، لا. والغفران شأن ديني أساساً.

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

«القوى الوطنية» والمشروع الوطني

سعد الله مزرعاني *

يحتاج وضع «القوى الوطنية»، وهي التسمية التي كانت تطلق على مجموعة الأحزاب والاتجاهات والشخصيات ذات البرامج والأهداف الوطنية الشاملة (غير الطائفية)، والانتماءات العروبية الغالبة، والمنطلقات اليسارية المتنوعة (اشتراكية وتقدمية وشيوعية...) يحتاج وضعها وما آل إليه واقعها، إلى مراجعة شاملة، سريعة وعميقة وجذرية. هذه القوى أدت أدواراً أساسية في محطات مؤثرة من تاريخ لبنان: في معارك الاستقلال، ومعارك الدفاع عن الحريات العامة، وعن حقوق العمال والمزارعين والمستخدمين والمعلمين والطلاب ومطالبهم، وفي معارك تأسيس النقابات ونشر الفكر والقيم التحريين والاشتراكيين، وفي معارك إصلاح النظام السياسي (ومنها معارك تحريره من الطائفية والمذهبية بإصلاح النظام الانتخابي...)، وفي معارك أحداث تحويل في النظام الاقتصادي لتطوير القطاعات المنتجة ولتحرير الاقتصاد من الطابع الريعي ومن التبعية، ومعارك تحرير الأرض من العدو الصهيوني المحتل والتصدي، بالمقاومة العسكرية وغير العسكرية، لعدوانه على لبنان، ومعارك الدفاع عن السيادة والاستقلال في مواجهة تدخل الأساطيل الاستعمارية والأحلاف التي تخدم مصالح دول المتروبول الاستعمارية... وهي قوى تستطيع (منفردة أو مجتمعة في صيغ جبهوية كانت أبرزها صيغة «الحركة الوطنية اللبنانية») أن تباهي بمبادراتها وإنجازاتها في حقول النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتحرري، بالتفاعل السليم أو غير السليم مع قوى خارجية (أممية) أو قوى إقليمية شقيقة (عروبية وإسلامية)، ما جعل هذه القوى تمارس دوراً رائداً في النطاق الوطني والخارجي. فأصبحت بيروت متنفساً للتنوع وعاصمة للتضامن مع حركات الشعوب العربية وغير العربية: دفاعاً عن حرياتها واستقلالها، ورفضاً للاحتلال والاستعمار والقمع والعدوان على أراضيها وسيادتها. ولقد كان نموذج الدعم للشعب الفلسطيني دليلاً ساطعاً على المدى الكفاحي الذي ذهبت إليه هذه القوى في حماية الشعب الفلسطيني وثورته عبر ملحمة أخوة نضالية انتجت لاحقاً نشوء المقاومة في لبنان ضد الغزو الإسرائيلي، وفي فلسطين اندلاع انتفاضات كبيرة ضد الاحتلال. وكانت ثمرة ذلك فرض هزيمة مرة على العدو الذي تراجع وعجز عن تحقيق أي إنجاز في لبنان. كذلك استطاع الشعب الفلسطيني أن يُبقي قضيته حيّة رغم كل محاولات التصفية والتواطؤ والحصار والتآمر التي تبلغ ذروتها في هذه الأيام عبر مشروع إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب تحت اسم «صفقة القرن».

بالمقابل، كان لهذه القوى صعوباتها وسقطاتها وسلبياتها وأخطاؤها أيضاً. الفئوية والتبعية والجمود والعجز، هي وسواها عناوين كانت حاضرة، بهذا القدر أو ذاك، في مجرى النضال. وهي تفاقمت خصوصاً في مواجهة التحديات والمتغيرات. أدى ذلك إلى ضعف المبادرة وهشاشة الصمود أمام الأزمات والتحولات. ضاعف من المشكلة أيضاً، أزمات دولية (أممية) وإقليمية عروبية (قومية). ضاعف منها أيضاً عجز تلك القوى عن مواجهة أشكال التدخل الخارجي، والإفساد، والتعامل مع موضوع العصبيات، وخصوصاً الطائفية والمذهبية.

لأسباب موضوعية وذاتية، بدأت هذه القوى تفقد زمام المبادرة، تفككت. تفرقت. تصارع بعضها أحياناً مع البعض الآخر. انهيار المنظومة السوفياتية كان أكثر من زلزال. التجارب السيئة لأنظمة حكم استولت على السلطة في بعض البلدان العربية كانت عامل إحباط إضافي في ممارساتها وفي انعكاسات تلك الممارسات على امتداداتها اللبنانية والعربية، وعلى القضية عموماً. ساهم في زيادة السلبيات وتفاقم العجز طغيان منطق المكابرة وعدم المراجعة والتصحيح والابتكار. هكذا وباطراد، دخلت هذه القوى في أزمة خطيرة وعميقة وطويلة. إن هذه القوى التي لم تستطع اشتقاق صيغة فعّالة، ولو نسبياً، للمشاركة في المعركة ضد العدو الصهيوني (بعد أن كانت مبادرة وسبّاقة)، لم تستطع أيضاً أن تحافظ على استقلاليتها وفق برنامج حيّ ومتطور وواقعي ومستمد من وقائع الحاضر وتحدياته، لا من تكرار عناوين الماضي وممارساته وإسقاطاته.

خضعت هذه القوى التي تعيش سلبيات أزمتها العامة، ضموراً وخلافات وتشرذماً وضياعاً داخلياً، لتجربتين في خلال السنة المنصرمة: الأولى في الانتخابات النيابية التي عجزت عن تحويلها إلى فرصة لشق بداية مسار جديد، رغم الدعوات والنيات الحسنة والشعارات الصحيحة غالباً. والثانية إزاء اندلاع الأزمة المالية الاقتصادية الاجتماعية الراهنة. هنا أيضاً أضاعت فرصة ثمينة من خلال العجز عن توظيفها في نهضة وطنية شاملة يتبلور معها ومن خلالها مشروع وطني جديد يراكم عناصر القوة عبر بلورة برنامج وصيغة قيادية في مسار يتكامل تباعاً، فيزود الاحتجاجات الشعبية الواسعة ببوصلة هادية نحو التحوّل إلى قوة متماسكة تقدم خياراً بديلاً للبنانيين في مواجهة اقتصاد الريع والتبعية ومنظومة المحاصصة والنهب والسرقة والفساد التي يغذيها وتغذيه.

ماذا عن هذا التوجّه او الخيار الجديد؟

لقد تراكم من السلبيات ما يمنع، للأسف، من أن يكون التوجه المطلوب ثمرة عملية تجميع تأتي في محصلة اتصالات واجتماعات لإقامة بناء جبهوي يكون نتيجة حاصل جمع المكونات القائمة أو أكثريتها (أحزاباً وشخصيات ومؤسسات مدنية...). في إطار واحد يُتّفَق على برنامجه وصيغته وإدارته. تبين أن ذلك متعذر موضوعياً وذاتياً. حاول كثيرون، عبر صيغ مختلفة، وبهدف واحد، إنشاء عمارة جبهوية من خلال المكونات القائمة أو حتى من بعضها. لم ينجح ذلك، رغم تعدد تلك المحاولات. كان عدم النجاح يضاعف، أيضاً، من السلبيات ومن سوء الظرف الصعب الذي تعمل فيه.

باتت المهمة، إذاً، أصعب. ما يحتاجه النهوض «الوطني» ليس أقل من عمل تأسيسي جديد. لا يعني ذلك أبداً أنه ينبغي اتخاذ موقف سلبي من الأحزاب القائمة أو العمل على تقويضها. على العكس من ذلك: تلك الأحزاب مدعوة إلى أن تضع مسألة تأسيس صيغة جديدة للعمل الجبهوي الوطني في مقدمة مهماتها، وأن تقدم من خلال المراجعة والتقييم، لمواقفها ومسيرتها، مساهمة لا بد منها للوصول إلى الهدف المنشود، أو، أقله، لإنجاحه. لا شك في أن ذلك سيضعها في الموقع الصحيح، وسيساهم في حلّ أزمتها الخاصة أو حلحلتها، كما أزمة العمل الوطني العام. وبديهي أنه لن يحزن أحد إذا ما تجاوزت هذه الأحزاب تعثّر دورها، على ما حصل ويحصل، فبادرت وابتكرت ونجحت...

يبقى أن المحاولة ينبغي أن تبدأ، وهي، وإن بدت صعبة، إلّا أنها ليست مستحيلة أبداً!!

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كومكورد ـ الطابق السادس
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الوافاك ـ 15 / 666314 ـ 01، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

سوريا

تعويل حكومي على موسم قمح وافر
حسابات «الإدارة الذاتية» تنغّص آمال فلّاحي الحسكة

في انتظار انتهاء حصاد محصول القمح والشعير الوافر هذا العام، بعد سنوات عجاف، لن يرتاح المزارعون قبل بيع غلّتهم، وسط مخاوف من الحراثق الواسعة التي يشهدها شمال البلاد وشرقها والاحتكار المفروض على عملية تسليم الإنتاج

قدرت وزارة الزراعة إنتاج هذا العام بحدود 2,7 مليون طنّ من القمح (الأخبار)

الحسكة ــ **ايهم مرعي**

لا يذكر أحمد العيسى (47 عاماً) أنه شهد موسماً وفيراً من القمح والشعير، مثل هذا العام. يستدرك الرجل بعدما أتمّ حصاد حقوله المزروعة بالشعير في قرية سبع سكور في ريف الحسكة الجنوبي الشرقي، ويقول لـ«الأخبار»: «ربّما كان موسم عام 1988 قريباً منه، لكن الخير هذا العام أكثر». وفي حقله الذي لا يزال اللون الأخضر يكحّل بعض سنابل قمحه، يتأمل أحمد محصوله والابتسامة لا تفارق وجهه، ويقول: «الأرض أعطت من كل دونم 40 كيساً (بين 80 و90 كيلوغراماً) من الشعير، وهو إنتاج يكاد يكون مضاعفاً لعدة مرات عن إنتاج المواسم السابقة». حال محصول أحمد الوفير مشابه لحال محاصيل أغلب مزارعي الحسكة، التي لطالما اعتُبرت العاصمة الزراعية للبلاد.

الآمال والتوقعات، الشعبية والحكومية، بحصاد وفير ونادٍ هذا العام، أتت مطابقة للواقع حتى الآن، بالنسبة إلى موسم الشعير على الأقل. إذ كانت وزارة الزراعة قد أعطت أرقاماً تقديرية عن إنتاج هذا العام، وصلت إلى حدود 2,7 مليون طنّ من القمح، ومليوني طنّ من الشعير، وهي أرقام تبدو قابلة للزيادة، في ظلّ تجاوز إنتاج بعض الحقول جنوبي الحسكة، معدّل 50 كيساً للدونم الواحد.

وأعادت وفرة المحصول وزيادة مساحة الأراضي المزروعة عن العام الماضي (ارتفعت بنحو 250 ألف هكتار)، إلى جانب الأمطار الغزيرة، الأمل بتعافي القطاع الزراعي، وسدّ فجوة الإنتاج خلال السنوات الماضية. وشكّلت جهود وزارة الزراعة في إعادة إعمار البنية التحتية الزراعية، ولا سيما شبكات الري، عاملاً مساعداً في زيادة مساحة الأراضي المستثمرة. ويشرح وزير الزراعة، أحمد القادري، في حديث إلى «الأخبار»، أن «أكثر من 800 ألف هكتار تم تحريرها، وعاد الأهالي والفلاحون إليها وباشروا زراعتها، ما انعكس إيجاباً على المساحات المزروعة».

ويوضح القادري أن «الموسم هذا العام ممتاز، والحكومة تعمل على تسلّم المحاصيل، واتخذت كل الإجراءات المطلوبة». ويؤكد أن رفع أسعار شراء القمح والشعير كان «بهدف تشجيع الفلاحين على تسليم محاصيلهم إلى المراكز الحكومية»، لافتاً إلى أن «الأسعار التي حُدّدت تفوق السعر العالمي المعتمد لشراء القمح».

«تسهيلات» حكومية

أنجزت الحكومة التحضيرات اللازمة للبدء بتسلّم القمح والشعير من الفلاحين، وذلك بعدما منح «المصرف الزراعي السوري» سلفة حكومية بقيمة 400 مليار ليرة، لتسليمها تباعاً للفلاحين، وفق جداول تسليم محاصيل القمح. ويقول المدير العام لـ«السورية للحبوب»، يوسف قاسم، في حديث إلى «الأخبار»، إنه «تم افتتاح 40 مركزاً لتسلّم محاصيل القمح على مستوى القطر، وتجهيزها بكل المستلزمات»، فيما يؤكد المدير العام لـ«المصرف الزراعي»، إبراهيم زيدان، أن «السيولة المادية متوفّرة لشراء كل ما سيعرض على المراكز الحكومية من أقماح، إذا زادت الحاجة عن قيمة الـ 400 مليار التي تم تخصيصها بداية».

وشكّل تحرّك رئيس الوزراء، عماد خميس، لإلغاء قرار سابق بتسلّم محصول القمح والشعير وفق الترخيص المسبق وشهادة المنشأ، لمصلحة الاكتفاء بالكشف الحسي وإثبات ملكية الأرض والمحصول، عاملاً إيجابياً يسهّل عملية التسلّم من الفلاحين. وسيشكّل هذا القرار عاملاً مهماً لقطع الطريق على التجار الوسطاء، وعلى محاولات تهريب القمح والشعير إلى الخارج. وفي هذا السياق، يؤكد وزير الزراعة أن «الحكومة معنية بتسلّم محاصيل الفلاحين، بما يسهم في استقرار الفلاحين في أراضيهم وزراعاتهم»، مشيراً إلى «التوقعات بأن إنتاج هذا العام سيحدث دخلاً اقتصادياً جيداً للفلاحين، وينعكس إيجاباً على الدخل القومي، والأمن الغذائي للبلاد».

«أزمة» التسليم

في مقابل الاستعدادات الحكومية، يبدي فلاحو الحسكة تخوّفاً من قيام «الإدارة الذاتية» بمنعهم من بيع محاصيلهم إلى المراكز الحكومية، وإجبارها إياهم على تسليمها إلى مراكزها. وإلى جانب انخفاض السعر الذي حددته «الإدارة الذاتية» لشراء القمح والشعير، خرجت تصريحات عدّة عن مسؤولين فيها تؤكد أنه «لن يُسمح بخروج حبّة قمح واحدة خارج الشمال السوري، وسيتم شراء كل محاصيل الفلاحين». ويُفسّر هذا التوجه على أنه رسالة للفلاحين بأن التسليم سيكون محصوراً بالمراكز التي افتتحها «الإدارة الذاتية» في كلّ من الحسكة ودير الزور والرقة وريف حلب. واتهم بعض الفلاحين «الإدارة الذاتية» بأنها تسعى إلى المتاجرة برزقهم، من خلال شرائها محاصيلهم ومن ثم تسويقها إلى المراكز الحكومية عبر تجار وسطاء، للاستفادة من فرق السعر، وتحقيق المنفعة المادية لها.

> تؤكد المصادر الحكومية استعدادها لتمويل شراء كل محصول القمح والشعير

وخلال اليومين الماضيين، ظهر توجّه مختلف لدى هيئات «الإدارة الذاتية» المعنية بالملف الزراعي، بدا كأنه تراجع عن قرار تسلّم كل المحصول، إذ قال «الرئيس المشترك لهيئة الاقتصاد والزراعة في الإدارة الذاتية»، سلمان بارودو، في تصريحات إعلامية، إن «الإدارة الذاتية قررت منح الحرية الكاملة للمزارعين في بيع محاصيلهم الزراعية، سواء للتجار أو للنظام السوري». غير أن التدقيق في الشروحات التي تلت هذا التصريح يؤكد أنه لا يعكس الصورة الحقيقية، إذ لفت بارودو عبر صفحته على «فايسبوك» إلى أن بإمكان الفلاحين بيع محاصيلهم إلى المراكز الحكومية الموجودة في «مناطق الإدارة الذاتية» فقط، من دون إخراجها ونقلها إلى مناطق سيطرة الحكومة السورية. وجاء تعليق بارودو رداً على سؤال حول العملة التي تفرضها «الإدارة الذاتية» (قُدّرت بنحو 150 ألف ليرة سورية) على الشاحنات المُحمّلة قمحاً أو شعيراً، والتي تريد الانتقال إلى مناطق سيطرة الحكومة السورية.

وكان «مجلس الرقة المدني»، التابع لـ«الإدارة الذاتية»، قد حدّد نسبة الحصّادة بـ4 في المئة من إنتاج الأراضي البعلية، و5 في المئة من إنتاج الأراضي المروية، وذلك في شروط منح التراخيص للحصّادات. وأكد فلاحون أن «أصحاب الحصّادات لا يلتزمون بهذه النسبة، ويتحكمون بالسعر، مستغلين قلة عدد الحصّادات، واضطرار الفلاحين لجني محاصيلهم». كما جهزت «لجنة الاقتصاد والزراعة» في «مجلس الرقة المدني» بعض الصوامع والمراكز لاستقبال محصول القمح، مثل صوامع السلجبية والرافقة ومزرعة بدر، وكذلك فعلت «السورية للحبوب» في المناطق الواقعة تحت سيطرة الحكومة السورية. ويروي خليل الإسماعيل، أحد مزارعي الرقة لـ«الأخبار» أن «السعر المحدد لشراء القمح من الفلاحين قليل مقارنة بتكاليف الزراعة والحصاد والنقل، فاغلبنا استدانوا من أجل تأمين البذار والأسمدة والأكياس وأجور الفلاحة، وجاء السعر دون المستوى المأمول، فهو أقلّ من نصف دولار، ولا خيار أمامنا سوى توريد محاصيلنا».

وفي الرقة... «نيران السياسة» تلتهم «لقمة العيش»

فراس الهكار

استبشر فلاحو محافظة الرقة خيراً بالموسم الزراعي لهذا العام، فغزارة الأمطار أعادت إلى أذهانهم ما يُعرف في ذاكرة الرقّيين بـ«سنة الدكمة» (عام 1988)، لوفرة أمطارها التي انعكست على موسم القمح والشعير. يومها، اضطر الفلاحون لشحن إنتاج محقولهم بلا أكياس. أما اليوم، فهم يخشون أن تبقى أكياس «الخيش» التي اشتروها فارغة. فبعد حساب ديونهم المتراكمة، وتكاليف زراعة وسقاية أرضهم، وما يحتاجونه لإعادة بناء ما تدمّر من بيوتهم، ضرب الفلاحون موعداً مع أصحاب الحصّادات، ولم يبقَ أمامهم سوى جني المحصول وتسويقه. غير أن النيران التي اندلعت في مناطق مختلفة من ريفي الرقة والحسكة، كانت لها كلمة أخرى. آلاف الهكتارات المزروعة بالقمح والشعير في قرى ريف الرقة الشمالي، الواقعة تحت سيطرة «قوات سوريا الديموقراطية»، باتت رماداً، وسط تأكيدات البعض بأن النيران اندلعت بفعل فاعل، واتهامات لسلطة الأمر الواقع التي تحكم المنطقة بالمسؤولية عن ذلك.

> اطلق فلاحو الرقة نداء استغاثة لتعويضهم عن محصولهم التالف

يقول أحد الفلاحين في ريف الرقة الشمالي، في حديث إلى «الأخبار»، إن «الأراضي الزراعية تشهد عادة اشتعال حريق أو اثنين على الأكثر في موسم الحصاد، لأسباب كثيرة، إلا أن الحرائق المنتشرة في ريف الرقة الشمالي تُثير الكثير من التساؤلات، خاصة أنها تندلع بشكل يومي في قرى جديدة». ويذهب بعض أهالي المنطقة إلى أبعد من ذلك، ويردّون الأمر إلى أسباب «سياسية» بالدرجة الأولى، تهدف إلى إبقاء الفلاحين من أبناء المنطقة تحت السيطرة. ويقول أحد ناشطي تل أبيض المعارضين، في حديث إلى «الأخبار»، إنه «عند اندلاع الحريق الأول، اعتبرنا أن الأمر مجرد حادثة، إلا أن الأمور تطورت، وصار اندلاع الحرائق في حقول القمح شبه يومي. ويستحيل أن يكون ذلك مجرد صدفة». ويضيف أن «من الواضح أن هناك من يريد بقاء الفلاح تحت خط الفقر، لاستثمار ذلك سياسياً. لأن انتعاش وضع المواطنين اقتصادياً سيجلب المتاعب لسلطة الأمر الواقع المفروضة علينا».

صورة تداولها ناشطون من الرقة عن محاولات الفلاحين إطفاء الحرائق (تويتر)

وتعمل سيارات وفرق الإطفاء الموزّعة في ريف المحافظة على إطفاء الحرائق المندلعة، لكن اتساع رقعة الأراضي المنكوبة، وتواضع إمكانات فرق الإطفاء، اضطرا الفلاحين وأهل القرى إلى اعتماد الطرق التقليدية في إخماد الحرائق. إذ باتوا يحفرون خنادق أمام النيران لحماية المحاصيل، ويستخدمون صهاريج المياه المُخصّصة عادة للسقاية. إلا أن الرياح ودرجات الحرارة المرتفعة ساهمت في انتشار النيران لتبتلع آلاف الهكتارات في قرى هداج والطركة والمحمودلي والجرنية، وغيرها. وأطلق أهالي الرقة نداء استغاثة، يدعو المنظمات العاملة في المحافظة إلى تعويض الفلاحين المنكوبين عما خسروه. وأصدر أحد أبناء الرقة بياناً ساخراً، دعا فيه دائنيه إلى إرسال أولادهم لحراسة أرضه ومحصوله «لأن الحصّادات قليلة والمساحات واسعة»، وإذا ما احترق موسمه، فلن يستطيع وفاء أي دين.

عام انتهاء «الجدب»

رفعت الحكومة السورية سعر شراء القمح من 175 إلى 185 ليرة سورية هذا العام، والشعير بـ130 ليرة، وذلك بهدف تشجيع الفلاحين على تسليم محاصيلهم للمراكز الحكومية. وفي المقابل، حدّدت «الإدارة الذاتية» سعر كيلو القمح بـ 150 ليرة، والشعير بـ 100 ليرة، وهي أسعار بعيدة عن واقع الكلفة.

التعويل الحكومي على اجتذاب أكبر كمية ممكنة من المحاصيل، مردّه ضعف حصيلة إنتاج السنوات الماضية. إذ أنتجت سوريا في أول سنوات الحرب (2011) قرابة 4 ملايين طن من القمح، لينخفض خلال أربعة أعوام إلى أقل من 500 ألف طن (2015). ويواصل انحداره إلى حدود 300 ألف خلال العامين الماضيين.

وكانت محافظة الحسكة وحدها تنتج بين 50 و90 في المئة من مجمل محصول القمح خلال سنين الحرب وما قبلها. أما الرقة التي يعتمد اقتصادها بالدرجة الأولى على الزراعة، فقد انخفض إنتاجها إلى النصف تقريباً، خلال سيطرة تنظيم «داعش» عليها. وبعد انتهاء المعارك مع التنظيم، عاد الفلاحون إلى زراعة أراضيهم، وتوقّعت مديرية زراعة الرقة (حكومية) أن يصل الإنتاج إلى نحو 700 ألف طن من القمح هذا العام.

(الأخبار)

«داعش» يتبنّى حرائق الحسكة

في ظلّ تأكيد مصادر محلية متعددة أن حرائق حقول القمح والشعير ليست ناجمة عن أسباب طبيعية، خرج تنظيم «داعش» ليعلن مسؤوليته عن إحراق حقول «المرتدين» في العراق وسوريا. وأفرد التنظيم لاستعراض «حصاد» عناصره، صفحة في «مجلة النبأ» التي يصدرها، في محاولة لتأكيد وجود خلاياه ونشاطها بين البلدين. وتبنى «داعش» إشعال حرائق في ريف الحسكة، وتحديداً في منطقة مركدة، ونسب ملكية تلك الأراضي إلى «مرتدين... وعملاء للنظام». وكان لافتاً أن التنظيم لم يشر أبداً إلى مسؤوليته عن الحرائق الأوسع التي شهدها ريف الرقة. ودفع هذا التبني إلى انتشار دعوات بين صفوف الفلاحين لتشكيل دوريات أهلية مهمتها حماية المحاصيل، حتى إتمام موسم الحصاد.

(الأخبار)

ليبيا

حكومة الوفاق والمغرب العربي: أبعد من الأيديولوجيا

في ظلّ انسداد أبواب المشرق أمامها، تبذل حكومة الوفاق جهود الدفع دول المغرب العربي نحو تبني موقف أكثر حزماً تجاه هجوم خليفة حفتر على طرابلس. بدأت تحركات «الوفاق» نهاية الشهر الماضي عبر موجة زيارات وتصريحات، وتتبعها الآن موجة ثانية قادت رئيس مجلسها الرئاسي، فائز السراج، نحو تونس والجزائر

حبيب الحاج سالم

نهاية الشهر الماضي، وصل وزير الداخلية في حكومة الوفاق، فتحي باشاغا، إلى العاصمة تونس. عقد الرجل اجتماعاً مع نظيره التونسي، هشام الفوراتي، أمّن خلاله استعداد تونس لاستقبال جرحى قواته. لم تنتهِ الزيارة عند ذلك الحدّ، بل عقد باشاغا ندوة صحافية، أدلى فيها بتصريح هو الأول من نوعه منذ تأليف الحكومة، حيث قال إن «المغرب العربي يواجه خطراً حقيقياً ما لم تتكاتف دوله لوقف المدّ الدكتاتوري... وبداية ذلك من طرابلس». هذا الكلام ليس النهاية، فبعد إشارته إلى «عدم التعويل على المجتمع الدولي»، دعا الرجل إلى «توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين دول المغرب العربي».

لم تأت تصريحات الوزير الليبي من عدم، إذ إنها جاءت بعد استقبال رئاسي في تونس والجزائر لنائب رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق، أحمد معيتيق. كما تبدو متفاعلة مع التصريحات التي صدرت في تونس قبل ذلك بأيام قليلة، خلال مؤتمر صحافي مشترك بين وزيري الخارجية التونسي والجزائري. وزير الخارجية الجزائري، صبري بوقادوم، أراد آنذاك بعث رسالة عبر الزيارة نفسها، الأولى له منذ توليه المسؤولية في ظرف حساس تمرّ به بلاده، إذ قال في ختامها إن البلدين («على متن قارب واحد»)، مضيفاً حول ليبيا: «لا أقبل ولن أقبل بأن تُقصف عاصمة عربية ومغاربية ونبقى صامتين». كما طالب الوزيران، في المؤتمر نفسه، بوقف فوري لإطلاق النار، ولم يكتفيا بذلك، بل وجّها دعوة إلى مصر لعقد اجتماع ما يعرف بـ«آلية دول الجوار للتنسيق حول ليبيا». لم تكن تلك الدعوة الأولى، حيث طالبت تونس قبلها، ولا تزال تطالب، بعقد اجتماع ثلاثي، لكن القاهرة تجاهلت الدعوات، وفضّلت عقد اجتماع لدول أفريقية انتهى إلى إصدار بيان يصبّ في مصلحة حفتر. لم يقف التجاهل عند ذلك الحدّ، إنما جاءت الإجابة على طلب «الوفاق» عقد قمة عربية عاجلة لتناول الهجوم على طرابلس بأن القمم الاستثنائية لا تُعقد إلا لبحث القضية الفلسطينية، ذلك فيما يتجهّز العرب لحضور قمّة حول «التهديد الإيراني» بطلب من السعودية!

يخضع الانقسام في المشرق العربي حول ليبيا أساساً لتقويمات سياسية ـ أيديولوجية، بين من يريد استئصال «الإسلام الحركي» (الإمارات، السعودية، مصر)، ومن يدعمه (قطر) أو لا مشكلة له معه (الكويت). أما بالنسبة إلى دول المغرب العربي، وخاصة تونس والجزائر، فالمسألة تتجاوز السياسة إلى الأمن. عانى البلدان من تهدّك الحدود الليبية، حيث دفعت الجزائر الثمن مبكراً عبر هجوم عين أميناس (2013)، ثم تونس بهجوم بن قردان (2016)، وتشكّل مجموعات إرهابية سرّبت الأسلحة إلى داخل البلاد، لتُستخدم في سلسلة هجمات، وتؤدي إلى تكوّن بؤرة جهادية في الجبال الغربية المتاخمة للجزائر. إلى جانب الخسائر الأمنية، أدى ذلك إلى مضاعفة المصروفات العسكرية في البلدين، لناحية التسليح وانتداب العسكريين وحفر خنادق حدودية ممتدة وتركيز منظومات مراقبة، هذا من دون الحديث عن الخسائر الأخرى، وخاصة في القطاع السياحي التونسي.

> صارت دول المغرب العربي تمثّل لحكومة الوفاق حاضنة مهمّة للتنسيق

من خلال كلّ ما تقدّم، يمكن فهم مقصد وزير الخارجية الجزائري بحديثه عن أن بلده وتونس «على متن قارب واحد»؛ فأي تدهور أمني قد يفتح باب خسائر جديدة، وأيضاً تصريح باشاغا الذي يدرك أهمية بلاده بالنسبة إلى الجارتين. بناءً عليه، لم تقف جهود حكومة الوفاق في طرق أبواب المغرب العربي.

يوم الاثنين، اتصل وزير خارجية «الوفاق»، محمد الطاهر سيالة، بنظرائه في تونس والجزائر والمغرب، وطالبهم بـ«القيام بدور أكبر لردّ العدوان على طرابلس والضغط لتوحيد الموقفين الإقليمي والدولي». جاء التفاعل سريعاً، حيث حطّ قائد السراج يوم الأربعاء في تونس، وقابل رئيس الجمهورية، وأجرى تحركات سياسية أخرى. بعد ذلك بيوم، طار السراج إلى الجزائر، وحظي هناك أيضاً باستقبال رسمي من طرف الوزير الأول ورئيس الجمهورية، لكن ما لم يحظ بتغطية إعلامية كبيرة هو اللقاءات الجانبية التي جمعت مسؤولين عسكريين من البلدين.

بهذا، صارت دول المغرب العربي تمثّل لحكومة الوفاق حاضنة مهمّة للتنسيق، وكذلك للنشاط في بعض الأحيان، لا فقط من خلال لقاء السفراء الأجانب، بل كذلك للقاء فاعلين ليبيين (التقى السراج خلال زيارته الأخيرة لتونس عدداً من الأعيان والمثقفين من شرق ليبيا، تحضيراً لتأسيس مبادرة تخرج من إقليم برقة لإنهاء هجوم طرابلس). لكن دعم دول المغرب لـ«الوفاق» لا يتقارب مع ما تقدمه مصر والإمارات والسعودية من أسلحة وأموال ودعم سياسي لحفتر، ويعود ذلك إلى تحفظات كثيرة تجاهها، لكن هذا الدعم يوفر للحكومة متنفساً مهماً سيصير من دونه غرب ليبيا أشبه بجزيرة معزولة.

ثمة عنصر آخر ذو أهمية في النظر إلى الموضوع، وهو المزاج الشعبي في المغرب العربي. لم يترك خليفة حفتر انطباعات جيدة لدى التونسيين والجزائريين خاصة. في ما يتعلق بتونس، نشرت أجهزة الدعاية التابعة لحفتر، عقب زيارته الأولى والوحيدة قبل عامين، شريطاً يظهر استعراضاً في المطار لما قالت إنه قوة حماية أمنية رافقته. استفزّ ذلك الناس، لأنه تجاوز حدود الأعراف الدبلوماسية، وأظهر تونس كما لو أنها عاجزة عن حماية ضيوفها. كما أظهر أيضاً هوس حفتر بالمظاهر العسكرية.

أما في الجزائر، فقد أطلقت تصريحات غير مدروسة لحفتر، حول استعداده لشنّ حرب على الجزائر في حال انتهاكها حدود ليبيا، موجة سخط شعبي. لم يكن اسم حفتر متداولاً كثيراً في الجزائر، لكن هذه الحادثة كوّنت له شعبية سلبية، ظهرت حتى خلال التظاهرات ضدّ إعادة ترشيح عبد العزيز بوتفليقة، عبر رسومات استهزائية. الأهم من كلّ ذلك هو الشعور الشعبي بما يمثّله مشروع حفتر من خطر، لناحية التبشير بحكم عسكري يحاول الجزائريون تجاوزه، ويخشاه التونسيون.

دعم دول المغرب لـ«الوفاق» لا يتقارب مع ما تقدمه مصر والإمارات والسعودية لحفتر (أ ف ب)

السودان

«العسكري» رسمياً في صراع المحاور:

«حميدتي» عرّاب الوصاية السعودية

تتضح يوماً بعد يوم محاولة محور السعودية والإمارات ومصر فرض الوصاية على المرحلة الانتقالية في السودان. في ظلّ مواقف خارجية تجعل «بوابة أفريقيا» في خندق صراع المحاور بأكثر قبل انتقال البلاد إلى حكم مدني جديد. فيما يبدو لـ«حميدتي» الدور الأبرز في إصرار أهداف حلفائه الخارجيين

الخرطوم ـ **الأخبار**

بعد تعثر المفاوضات بين المجلس العسكري وقوى «الحرية والتغيير» لإصرار الأول على أغلبية تمثله في «المجلس السيادي» ورئاسة عسكرية، يتجه العسكر الذي بات يوصف بـ«الثورة المضادة» إلى فرض مرحلة انتقالية تبقيهم في أعلى هرم السلطة، معتمدين على محور السعودية ـ الإمارات ـ مصر، الذي يحضر بقوة في المشهد السوداني، سواء عبر الدعم السياسي أو المالي، أو الزيارات واللقاءات التي تظهر مدى التنسيق في خطوات مواجهة الشارع، والحفاظ على حكم يحفظ مصالح الخارج، ولا سيما المشاركة في الحرب على اليمن.

وتتجلى أشكال التنسيق في زيارة خاطفة لنائب رئيس المجلس، محمد حمدان دقلو، المعروف بـ«حميدتي»، للسعودية، حيث التقى ولي العهد محمد بن سلمان في جدة، في زيارة استمرت لساعات، هي الأولى خارجياً له منذ توليه منصب نائب رئيس المجلس، فضلاً عن لقاءات داخلية كثيفة وعلى مستويات عليا، آخرها خلال زيارة سرية لنائب وزير الدفاع، خالد بن سلمان، الذي زار الخرطوم الأسبوع الماضي.

ويبدو التنسيق بين العسكر ومحور الرياض واضحاً في بيان المجلس العسكري في شأن لقاء «حميدتي» ـ ابن سلمان أمس، ليؤكد دخول المجلس مع المملكة في عمق لعبة المحاور بعيداً عن صفته الانتقالية. إذ عدّد البيان أهداف الزيارة السريعة، أولاً، بالتأكيد «على بقاء القوات السودانية في اليمن»، رغم إقرار ذلك منتصف الشهر الماضي، حين رفضت قوى «الحرية والتغيير» القرار لعدم أحقية المجلس في اتخاذ قرارات مصيرية لصفته الانتقالية. وهنا، يأتي التأكيد الجديد، أمس، في ضوء وصول هجمات حركة «أنصار الله» المتواصلة ضد أهداف حيوية سعودية وإماراتية إلى ذروتها خلال الأيام القليلة الماضية. وأشار بيان «العسكري» إلى أن ثاني أهداف الزيارة «تقديم الشكر للسعودية على موقفها الداعم للشعب». والمجلس العسكري في هذه المرحلة الدقيقة»، بعد أسبوع على إبداء الرياض في المصرف المركزي السوداني 250 مليون دولار. وثالثاً، إبداء استعداد السودان «للدفاع عن أرض الحرمين» والوقوف مع السعودية ضدّ ما وصفها بـ«التهديدات والاعتداءات الإيرانية»، في ظلّ توتر تشهده منطقة الخليج، عقب تلويح واشنطن بالتصعيد العسكري ضد الجمهورية الإسلامية، ومحاولة السعودية حشد دول عربية وخليجية للمشاركة في قمتين «طارئتين» (خليجية وعربية) في مكة المكرمة في 30 أيار/ مايو الحالي.

ولا يدع البيان مجالاً للشك في أن مواقف «العسكري» تنطلق من الرياض وأبو ظبي، لإقحام السودان في صراع سياسي وعسكري قبل ولادة سلطة جديدة مدنية بعد الانقلاب على البشير، في حين يستمرّ الاعتصام المفتوح منذ ما قبل الانقلاب في محيط مقرّ قيادة الجيش وسط الخرطوم، للمطالبة بسلطة مدنية من دون استجابة.

تعويم «حميدتي»

لا تخفى علاقات «حميدتي» مع الرياض وأبو ظبي منذ أن أرسله البشير إلى اليمن عام 2015، ليقود القوة الأكبر من القوات البرية هناك. لكن بالنظر إلى موقفه المتبدل على نحو سريع من مطلب تسليم السلطة إلى المدنيين، حين رفض المشاركة في مجلس عوض بن عوف، ثم مشاركته في اليوم التالي في مجلس عبد الفتاح البرهان، وتوليه مهمة الحدّ من مظاهر الاحتجاج وفضّ الاعتصام بالقوة، وأخر تجلياتها هجومان دمويان الأسبوع الماضي، يبدو قائد قوات «الدعم السريع»، الذي يبرز في اللقاءات الكثيفة مع سفراء السعودية والإمارات والسفير الأميركي استيفن كوتسيس، نقطة ارتكاز رؤية محور السعودية ـ الإمارات ـ مصر، التي من شأنها تثبيت حكم موال في «بوابة أفريقيا»، وإبقاء المشاركة في حرب اليمن، و«تطهير» الجيش من الإسلاميين لتحاشي تكرار نموذج حكم البشير.

تمدد قائد قوات «الدعم السريع» هو عملياً نتيجة تقاعس العسكر عن أداء دوره في تسليم السلطة، وتفرغه للأدوار الدفاعية، بحسب ما يؤكد محللون. فالإشكالية، بحسب المحلل السياسي حاج حمد، تكمن في أن «حميدتي ينتمي إلى محور السعودية والإمارات الذي يشكل خطراً على السودان، ومن مصلحته إذابة الجيش السوداني»؛ كون القوات المسلحة في تقاليدها تدعم الشعوب وليس الحكومات. ويلفت في حديث إلى «الأخبار» إلى أن «تجييش العشائر الذي يمارسه حميدتي، ومحاولته تجييش أبنائها في قواته، يتسببان في قطع الإمداد البشري للجيش الوطني»، موضحاً أن دقلو

> **يؤكد تبرير «العسكري» زيارة «حميدتي» للرياض دخول المجلس في عمق لعبة المحاور**

يعمد إلى شراء الولاءات، معتمداً في ذلك على مناجم الذهب التي يسيطر عليها في جبل عامر في إقليم دارفور. وفي هذا الإطار، كشف أحد أبناء «بني عامر»، في حديث إلى «الأخبار»، أن قادة «الدعم السريع» أتوا إلى مدينة الفضارف، شرق السودان، أخيراً، إبان صراع قبلي. وبعدما خمدت الفتنة، اجتمعوا مع وجهاء القبائل، واستطاعوا إقناعهم بضرورة تجنيد أبنائهم وتسليحهم حتى إذا ما نشب صراع في المستقبل تكفلوا بإخماده، مشيراً إلى أن «حميدتي» أغدق على الشباب الأموال لاستقطابهم للتجنيد، فاستجاب عدد لا بأس به منهم، وانخرطوا في المعسكرات، وتم ترحيلهم إلى معسكر التدريب في مدينة شندي، شمال البلاد، وتم وعد المجندين بأن يتم توزيعهم في مناطقهم بعد التخرج من معسكرات التدريب. وأكد المصدر أن قوات «الدعم السريع» منحت «كل شاب مبلغ عشرة آلاف جنيه» نظير انتمائه إليها. وتعتبر هذه دفعةً أولى، على أن تكتمل الدفعة الثانية بعد عيد الفطر.

أما في شأن طموحه إلى إضعاف الجيش، فلا يستبعد مراقبون سعي محور الرياض وأبو ظبي إلى استبدال ميليشيا «الدعم السريع» بالجيش السوداني، بحجة أنها مركز للإسلاميين. وهي فكرة تحفّظ عليها الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، أثناء لقاء جمعه برئيس آلية الاتحاد الأفريقي، ثامبو أمبيكي، في القاهرة، بحسب ما نقلت مصادر مطلعة، مشيرة إلى أنه وصف القرار بـ«الأخرق»، كون الجيش السوداني مؤسسة عريقة مهما تغيرت الأيديولوجيات المتحكمة بها، فهي قابلة للإصلاح و«التطهير»، ولا يمكن مقارنتها بقوى قبلية حديثة التكوين.

لكن مراقبين ينظرون إلى حديث السيسي باعتباره «فقاعة اختبار» للداخل السوداني، مشيرين إلى أن حلّ الجيش سيحقق مكاسب عدة للمحور الخليجي، منها التخلص من العناصر الإسلامية المتغلغلة في المؤسسة العسكرية، ومن عناصر القوات المسلحة الذين قد يشكلون حجر عثرة أمام تمدد «حميدتي» داخل الجيش. كما أن جعل «الدعم السريع» القوة الضاربة، يضمن للرياض وأبو ظبي استمرار بقاء القوات السودانية في اليمن. ومن غير المستبعد أيضاً أن تستقطب قوات «الدعم السريع»، في سعيها إلى إرساء دعائم نفوذها، المفصولين من الجيش الذين تم فصلهم إبان حكم البشير، الذي أقصى كل العساكر الذين لا ينتمون إلى حزبه «المؤتمر الوطني»، وأضحى الجيش في عهده مؤسسة حزبية، معيارها الأساسي الانتماء الحزبي.

حددت «الحرية والتغيير» الإضراب العام يومي الـ28 والـ29 من الشهر الحالي (أ ف ب)

مصر

إلغاء زيارة جنوب إفريقيا: شبح المقاضاة يلاحق السيسي

للمرة الثانية منذ وصوله إلى السلطة عام 2014، يلغي الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، زيارة لدولة جنوب إفريقية تخوّفاً من الملاحقة القضائية التي يقودها تنظيم «الإخوان المسلمين» ضده هناك. إلغاءٌ أضحى السيسي إلى تأجيل جولة أفريقية بحالها كانت مقررة أمس على 4 دول

القاهرة ـ **رمزي بابنا**

ألغى الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، جولة كانت مُقرّرة الجمعة على أربع دول إفريقية، بعد توجيهات سيادية بـ«مخاطر محتملة» من مشاركته في حفل تنصيب الرئيس الجنوب إفريقي، الذي كان من المقرر أن يحضره في إطار تعزيز التعاون بين القاهرة وبريتوريا، أثناء ترؤس مصر للاتحاد الأفريقي خلال العام الجاري.

ويعود هذا القرار، الثاني من نوعه بعد إلغاء زيارة مماثلة عام 2015 خلال انعقاد القمة الإفريقية، إلى مخاوف من ملاحقات قضائية يقودها تنظيم جماعة «الإخوان المسلمين» ـ المُصنّف لدى الحكومة والقضاء المصريين «إرهابياً» ـ ضد السيسي باعتباره مسؤولاً عن عملية فضّ اعتصامَي رابعة العدوية والنهضة، إبّان توليه وزارة الدفاع في آب/ أغسطس 2013، وهي القضية التي يتحرك التنظيم قضائياً في جنوب إفريقيا من أجل اعتبارها «جريمة حرب» تستوجب محاسبة المسؤول عنها.

واضطر السيسي إلى إلغاء الزيارة عام 2015 بسبب السعي آنذاك لاستصدار قرار بحقه يمنعه من السفر حال وصوله إلى جنوب إفريقيا، وهو السبب نفسه الذي أُلغيَت على أساسه اليوم الزيارة التي كانت ضمن جولة تشمل زامبيا، الكونغو الديمقراطية وأنجولا، وتستمرّ أسبوعاً ضمن الجولات الإفريقية المُكثّفة التي يقوم بها السيسي منذ بداية العام الجاري.

وبحسب التقرير الذي رُفع للسيسي، فإن تصديق جنوب إفريقيا على معاهدة روما المؤسِّسة للمحكمة الجنائية الدولية يمكّن القضاء في هذه الدولة من نظر قضايا متعلقة بجرائم ارتُكبت خارج البلاد، بما في ذلك جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية. ورصد التقرير وجود تحركات لتنظيم احتجاجات معارضة لزيارة السيسي، فضلاً عن «مخاوف أمنية» مرتبطة بحضوره، وعدم إمكانية توقع ردّ الفعل القضائي.

وعليه، جرى التوصل إلى قرار نهائي بإلغاء الزيارة، لكن ليس إلى جنوب إفريقيا حصراً حتى لا يُحسب ذلك على النظام المصري إعلامياً وسياسياً، بل أُبلغت بقية الدول بأن زيارة السيسي ستكون في وقت لاحق، بينما أُلغيت زيارة

> **توبيخ حادّ وُجّه إلى وسائل الإعلام لنشرها تفاصيل الزيارة من دون بيان رسمي**

بريتوريا نهائياً، خاصة أن الهدف الرئيس منها ـ أي حضور مراسم احتفال الرئيس سيريل رامافوزا بولاية ثانية ـ سيكون قد جرى تجاوزه.

وأبدى الجانب المصري اعتذاراً لمسؤولي بريتوريا عن عدم مشاركة السيسي، وأبلغهم بأن وفداً آخر رفيع المستوى سيحضر الاحتفالية، علماً أن السيسي يسعى إلى تعزيز العلاقات بين البلدين اقتصادياً، وتنسيق المواقف إفريقياً في عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك، وفي مقدمتها الأوضاع في السودان وليبيا.

وبحسب مصدر تحدث إلى «الأخبار»، صدرت تعليمات مساء الخميس لمختلف وسائل الإعلام المصرية بتجاهل أي أخبار عن الجولة بعدما كانت قد نُشرت تفاصيلها في الصحف المطبوعة، لتقوم إثر ذلك عدة مؤسسات قومية كبرى، وفي مقدمتها «الأهرام»، بحذف خبر الزيارة من مواقعها الإلكترونية، على رغم نشره ورقياً. وأكد المصدر أن توبيخاً حاداً وُجّه إلى وسائل الإعلام لنشرها تفاصيل الزيارة من دون صدور بيان رسمي من رئاسة الجمهورية، وهو التقليد الذي كان متبعاً منذ شهور.

والجدير ذكره أن قرار إلغاء الزيارة اتُّخذ في وقت متأخر، وبعدما كان بعض صحفيّي الرئاسة قد غادروا بالفعل إلى جنوب إفريقيا، فيما كان آخرون في طريقهم إليها.

تقرير

يُتهم كريم بسرقة ملايين الدولارات من إيرادات نفط كركوك (أ ف ب)

شكّل نفط كركوك وعائداته بنداً رئيساً على جدول إعادة العلاقات بين بغداد وأربيل إلى سابق عهدها، قبل أزمة «استفتاء الانفصال» عام 2017. نجم الدين كريم، محافظ كركوك السابق، أبرز المتهمين على هذا الصعيد: تهريب النفط وسرقة عائداته، والدعوة إلى «الاستقلال» عن العراق. توقيف الرجل، صاحب الجنسية الأميركية قبل أيام في بيروت، فتح الملف مجدداً. اليوم، ثمة ضغوط لتسليم الرجل لأربيل، خوفاً من «فضيحة كبرى» تطاول أركان الحكم في عاصمة «إقليم كردستان»، مَربط «ولاء» كريم الحالي

وساطات و«رشى» لاستعادة نجم الدين كريم

محافظ كركوك السابق: الصندوق الأسود لـ«مافيات كردستان»

نور أيوب

محافظ كركوك السابق، نجم الدين كريم، موقوفٌ في لبنان. قبل أيام (الثلاثاء 22 أيار/ مايو الجاري)، أوقف الرجل في مطار رفيق الحريري الدولي من قِبَل «الشرطة الدولية» (الإنتربول)، إلا أن السلطات اللبنانية عادت وأطلقت سراحه في اليوم التالي، مانعةً إيّاه من السفر، ومصادرةً جواز سفره الأميركي، في انتظار أن ترسل السلطات العراقية ملفه القضائي إلى بيروت، لدراسته واتخاذ الإجراء المناسب في شأنه. الطبيب الخاص بالرئيس العراقي الأسبق، جلال الطالباني (مؤسس حزب «الاتحاد الوطني الكردستاني»)، متهمٌ بجملة من القضايا، منها ما هو أمني ومنها ما هو مالي.

كريم «شخصية جدلية»، هكذا تصف مصادر سياسية كردية معارضة لـ«الثنائية الحاكمة» («الاتحاد» و«الحزب الديموقراطي الكردستاني») ابن كركوك، الذي انتُخب محافظاً لها في 3 نيسان/ أبريل 2011. اسمه ملازمٌ لاسم زعيم «الديموقراطي» مسعود البرزاني، في قضية استفتاء انفصال إقليم كردستان عن العراق في أيلول/ سبتمبر 2017. سياسياً، وقف إلى جانب أربيل في إجراء «الاستفتاء» في كركوك (إحدى المحافظات المتنازع عليها بين المركز و«الإقليم»)، على رغم معارضة السليمانية («الخجولة» لمشروع البرزاني الانفصالي، ورفض بغداد القاطع لتلك الخطوة. ميدانياً، أشرف ـ بشكل مباشر ـ على عمليات أمنية ضد شخصيات/ تجمعات عربية وتركمانية في المحافظة، عدا عن إدارته المباشرة أيضاً لمواجهات عدة ضد القوات الأمنية العراقية، أثناء دخولها المدينة في تشرين الأول/ أكتوبر 2017. مواقفٌ دفع الرجل ثمنها غالياً. فرّ إلى خارج البلاد بعد تصويت البرلمان العراقي في أيلول/ سبتمبر 2017 على إقالته من منصبه، بطلب مباشر من رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، ثم إصدار «محكمة استئناف كركوك»، في 23 أيار/ مايو 2018، مذكرة قبض بحقه، وأمرها بالحجز على أمواله المنقولة وغير المنقولة، على خلفية العديد من المخالفات، وبينها: دعوة أبناء المحافظة القادرين على حمل السلاح إلى الخروج لـ«الدفاع عنها». أما في 16 شباط/ فبراير الماضي، فاعلن المجلس القيادي لـ«الاتحاد الوطني» إنهاء ارتباطه بكريم، محمّلاً إيّاه مسؤولية «ما حدث في كركوك».

انتقل كريم إلى صفّ البرزاني حوّله إلى «كبش فداء» أزمة الانفصال. لكن أربيل حافظت على علاقتها بالرجل. وهو ما تعكسه اليوم وسائل الإعلام المحسوبة على البرزاني، والتي دافعت عن كريم، واكدت أنه «حرٌ طليق في بيروت»، إلا أن معلومات «الأخبار» تفيد بأن الرجل «لا يزال محتجزاً، وأن أربيل تقود محاولات حثيثة للإفراج عنه، إضافةً إلى بعض الأطراف السياسية في بغداد». وتضيف المعلومات إن «السلطة القضائية اللبنانية تنتظر دراسة ملفه القضائي حتى تُسلّمه إلى نظيرتها العراقية في بغداد»، وهو ما أكدته

> **التحويلات المالية بين أربيل وبغداد وبيروت تصاعدت بشكل كبير**

أيضاً مصادر دبلوماسية عراقية، بالقول في حديثها إلى «الأخبار» إن «بغداد ترفض مساعي/ ضغوط أربيل للإفراج عن كريم، وخاصة أن المحافظ المقال مطلوبٌ للقضاء الاتحادي، وليس لقضاء الإقليم»، متابعة أنه «ما من مانع للإبقاء على كريم داخل الأراضي اللبنانية، وما يُشاع عن استعجال بغداد تسلّمه عارٍ من الصحة... نحن نريده، لكن نريد أن تأخذ العدالة مجراها».

هنا، يبرز حراك أربيل لـ«تسلّم» كريم على أكثر من صعيد. قبل يومين، أشارت وسائل إعلام مقرّبة من آل البرزاني إلى أن «رئيس حكومة الإقليم، نيجيرفان البرزاني، تدخّل بتكليف مباشر من مسعود البرزاني لمنع جلب كريم إلى بغداد»، في وقت يؤكد فيه مطلعون على الحركة المصرفية العراقية أن «التحويلات المالية بين أربيل وبغداد وبيروت تصاعدت بشكل كبير بهدف إنقاذ كريم من هذه الورطة»، في ظلّ «عروض مالية كبيرة، وصلت إلى عشرات الملايين من الدولارات، على أطراف عراقية ولبنانية للإفراج عنه». كذلك، لفتت مصادر كردية إلى إجراء زعيم «ائتلاف الوطنية»، إياد علاوي، وساطة مع السلطات اللبنانية لإطلاق سراح كريم، بطلب مباشر أيضاً من البرزاني، رادّةً ذلك إلى «امتلاك علّاوي القدرة لإتمام هذه الوساطة، بحكم علاقته برئيس الوزراء اللبناني سعد الدين الحريري». وعلى رغم سكوت أربيل إزاءما يُحكى، كان لافتاً تصريح مسؤول «المكتب السياسي» لـ«الحزب الديموقراطي»، فاضل ميراني، الذي قال إن «مسعود البرزاني ونجيرفان البرزاني توسطا لإعادة كريم إلى أربيل»، واصفاً توقيف المحافظ السابق بـ«غير المبرّر». ودعا في تصريحه الناري «الحكومة العراقية إلى اعتقال جميع المسؤولين السابقين المتهمين بالفساد، إذا كانت هذه تهمته»، مضيفاً إنه «إذا كان الاعتقال بسبب الاستفتاء، ورفع علم الإقليم فوق دوائر محافظة كركوك، فنحن وجميع الأكراد مذنبون لياتوا لاعتقالنا... الدفاع عنه وعن أي كردي واجبنا».

ما التهمة؟

في اتصال هاتفي مع قناة «كردستان 24» قبل أيام، اعتبر كريم أن «ما حدث لا علاقة له بالإنتربول... الأمر مرتبط بدعوى رفعتها حكومة العبادي إلى الدول العربية وليس لها أي تأثير». لكن يبقى السؤال: ما هي تهمة الرجل؟ في إجابتها ذلك، تقول مصادر أمنية ودبلوماسية إن سبب التوقيف «دور الرجل في استفتاء الإقليم، وتلاعبه في أموال نفط كركوك التي أودعها في حساباته الخاصة»، مضيفة إن «كريم بشكل إحدى حلقات المافيا المسيطرة على إيرادات النفط في الإقليم، نتيجة علاقته الوطيدة بوزير الثروات في حكومة أربيل، آشتي هورامي». الأخير هو شريك نيجيرفان البرزاني (المرشح أيضاً لمنصب رئاسة «الإقليم»)، وقد كُشفت وثائق عدّة (سابقاً) عن إحالته عقوداً ضخمة (على مدى سنوات) لبيع النفط المدعوم من الحكومة الاتحادية لشركة «عراق أويل»، والتي يملكها ويديرها نيابةً عنه رجل الأعمال عبد الهادي نذير.

ولئن كانت بغداد «غائبة» عن عائدات نفط كركوك طوال السنوات الماضية، فقد استطاع كريم وهورامي مراكمة مئات ملايين الدولارات، إذ إن الأول متورّط في إيداع أكثر من 160 مليون دولار من الإيرادات النفطية في حساباته الخاصة، فيما كريم ـ بتعبير مصادر عدة ـ ركنٌ أساسي من أركان «مافيا» تهريب النفط في «الإقليم»، لذلك ثمة «ضغوط تمارس في بيروت وبغداد للإفراج عنه بشكل سريع، خشية انفضاح» عمليات تلك «المافيا». وتذهب المصادر إلى القول إن «سرقة كريم لملايين الدولارات من إيرادات نفط كركوك كان بالتواطؤ والتعاون مع هورامي، الذي استضافه في أحد قصوره في مدينة أربيل، بعد هروب الأول من كركوك في تشرين الأول/ أكتوبر 2017».

بناءً على ما تقدم، تفسّر مصادر كردية معارضة «الحرص» الذي تبديه القوى العراقية والكردية، على حدٍّ سواء، على محاسبة كريم، بـ«حسابات سياسية» متصلة بأمرين: الأول تفكيك «مافيا» تهريب النفط في أربيل، أما الثاني فمنع تولّي هورامي ـ مجدّداً ـ حقيبة النفط والثروات الطبيعية في حكومة «الإقليم» المرتقبة، وخاصة أن حظوظه عالية في ظلّ دعم «المافيات» المرتبطة بأركان الحكم في «كردستان» له.

بغداد وتسلّم كريم: تحدٍّ لـ«نزاهة»

ثمة من يروّج أن رئيس الوزراء، عادل عبد المهدي، أبدى موافقته المبدئية على إسقاط التهم الحكومية للملاحة محافظ كركوك السابق نجم الدين كريم (الصورة). هذا الحديث دفع ببعض القوى السياسية العراقية (من تحالفَي «البناء» و«الإصلاح») إلى اعتبار استعادة بغداد لكريم «فرصةً ذهبية» أمام عبد المهدي لإثبات صدقيته في «مكافحة الفساد». ودفع التهم التي تطارده إزاء تساهله مع حكومة «إقليم كردستان»، التي أخذت باتفاقياتها مع بغداد في شأن تسليمها عائدات نفط «الإقليم». وعليه، نصحت هذه القوى الحكومة «بعيداً عن الأضواء» بعدم التساهل في قضية كريم، أو غضّ النظر عن تسليمه لأربيل. وفي هذا السياق، وجّهت «الجبهة التركمانية» البرلمانية سؤالاً إلى عبد المهدي عن مصير كريم: هل سيُعاد إلى العراق؟ وهل هنالك وساطات حكومية لإطلاق سراحه؟ ذلك أن «القضايا المتعلقة به فسادٌ مالي ونزاهة، وأخرى تمسّ الأمن القومي العراقي».

(الأخبار)

إيران

واشنطن ترفع منسوب التوتّر... والابتزاز!

عادت واشنطن وأكدت إرسال تعزيزات جديدة إلى المنطقة، بينها 1500 جندي، بعد ساعات من استبعاد دونالد ترامب مطلب البنتاغون. يأتي ذلك في وقت تتكثّف فيه الوساطات الإقليمية والدولية، وآخرها حديث عن مساعٍ لطوكيو، التي توجّه ترامب لزيارتها أمس

بعد تصريحاته الرافضة لإرسال مزيد من القوات إلى المنطقة، بدا الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في محاولة لعدم الظهور بمظهر المنقلب على وعوده الانتخابية، وهو الذي انتقد طويلاً إرسال الجنود للقتال في حروب بعيدة. وإذ تأكد أمس أن القوات الأميركية سترسل تعزيزات إضافية قوامها 1500 جندي، وضع المسؤولون الأميركيون الخطوة في إطار حماية قواتهم في المنطقة

> جيلداي: الألغام اللاصقة المستخدمة في هجوم الفجيرة تعود للحرس الثوري

فحسب. وقال ترامب، وهو يغادر البيت الأبيض متجهاً إلى البيان: «نريد توفير حماية في الشرق الأوسط. سنرسل عدداً صغيراً نسبياً من الجنود، معظمهم لتوفير الحماية».

وتدعم توضيحات البنتاغون السياق الذي تحدث عنه ترامب. فبحسب وزارة الدفاع الأميركية، فإن 900 من الجنود المرسلين سينتشرون للمرة الأولى في الخارج، فيما 600 من العدد المطلوب (1500) موجودون بالفعل في المنطقة، وسيتم تمديد بقائهم. ولكن ليس ضمن القوات المتواجدة في سوريا والعراق. وهو ما لا يشي، إذا ما اكتُفي بإضافة هذا العدد إلى عشرات الآلاف من الجنود، بحركة غير اعتيادية تمهّد لعمل عسكري، علماً أن طهران لم تعلّق أمس على هذه الأنباء. وكانت الإدارة الأميركية درست مع قادة البنتاغون طلباً من القيادة المركزية بإرسال عدد من الجنود (تحدثت بعض التسريبات عن رقم 5 آلاف)، في إطار تعزيز قواتها بالتزامن وارتفاع التوتر مع إيران، الأمر الذي علّق عليه ترامب أول من أمس بإبداء اعتقاده بأنه لا يرى فيه ضرورة. ونقلت وكالة «أسوشيتد برس» عن مسؤول أميركي لم تسمّه أن استجابة ترامب لطلب القائم بأعمال وزير الدفاع، باتريك شانهان، تشمل بطاريات صواريخ «باتريوت»، وطائرة استطلاع، والقوات اللازمة لهذه التعزيزات.

وأمس، اتهم مدير الأركان المشتركة مايكل جيلداي، الحرس الثوري الإيراني، بالمسؤولية المباشرة عن الهجمات الأخيرة في بحر عُمان قبالة الفجيرة الإماراتية ضدّ السفن التجارية وناقلات النفط. وفي حين لم تعلن نتائج التحقيقات التي يشارك فيها الأميركيون، كشف جيلداي أن البنتاغون خلص إلى أن الألغام اللاصقة المستخدَمة في الهجوم تعود للحرس الثوري. وتحدّث جيلداي عن ما سمّاه «حملة إيرانية تربط بين التهديدات في المنطقة»، وهو ما دفع الولايات المتحدة إلى «نشر مزيد من القوات في المنطقة». وتشير هذه التصريحات غير الرسمية إلى ما يمكن أن تسوقه واشنطن من اتهامات في الأيام المقبلة لطهران، في وقت تحقق فيه الولايات المتحدة ـ على وقع التوتر ـ المزيد من الانتشار في المنطقة، بالتزامن مع رفع حجم صفقات بيع الأسلحة للدول الخليجية تحت عنوان «الحماية» من التهديدات.

البنتاغون: 900 من الجنود المرسلين سينتشرون للمرة الأولى فيما 600 منهم موجودون بالفعل (أ ف ب)

وتوجّه الرئيس الأميركي إلى اليابان، حيث سبقه إليها وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف. وإثر زيارة الأخير إلى طوكيو، سرت التكهنات في شأن وساطة يابانية بين طهران وواشنطن، خصوصاً بعد زيارة ترامب والأنباء عن تلبية رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي، دعوة من الرئيس الإيراني حسن روحاني، لزيارة طهران. إلّا أن الخارجية الإيرانية أوضحت أن لا موعد محدداً للزيارة بعد، وأن «بعض التوقعات والتخمينات المنتشرة بعيدة عن الحقيقة ولا صحة لها»، وذلك بعدما أفادت وسائل إعلام يابانية بأن شينزو آبي يدرس زيارة إيران منتصف الشهر المقبل بالتنسيق مع ترامب بهدف تخفيف التوتر. وفي إطار الوساطات، وبعد زيارته طهران، أوضح وزير الخارجية العماني، يوسف بن علوي، أن بلاده «تسعى مع أطراف أخرى لتهدئة التوتر بين واشنطن وطهران». بدوره، أبدى نائب وزير الخارجية الكويتي، خالد الجار الله، تفاؤلاً بانطلاق «اتصالات» بين الطرفين الإيراني والأميركي، مؤكداً أن بلاده «مستعدة دائماً وحاضرة لبذل أي جهود تهدف إلى التهدئة والاستقرار وتجنب الصدام».

(الأخبار، رويترز، الأناضول)

صفقات أسلحة للسعودية والإمارات بـ8 مليارات

يتّجه الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إلى إقرار 22 صفقة أسلحة مع كل من السعودية والإمارات، تُقدّر قيمتها بـ 8 مليارات دولار. وإذ كان ترامب يواجه معارضة شديدة في الكونغرس، من قِبَل الجمهوريين والديمقراطيين على السواء، فهو يعتزم استغلال ثغرة في قانون السيطرة على الأسلحة، وذلك بإعلان حالة طوارئ وطنية بسبب التوتر مع إيران، ما يجنّبه مراجعة الكونغرس. ونقل مساعدون في الكونغرس أن الإدارة أبلغت لجاناً في الكونغرس بأنها ستنفذ الصفقات، متجاهلةً المراجعة التقليدية للسلطة التشريعية، والمُتبعة منذ زمن بعيد. وبحسب هؤلاء، فإن ترامب «يشعر بخيبة الأمل إزاء تعطيل الكونغرس مبيعات أسلحة، ومنها صفقة كبيرة لبيع السعودية ذخائر دقيقة التوجيه من إنتاج شركة ريثيون».

(رويترز)

قضية

المهاجرون الغزّيون في تركيا: رحلة الأمل المُطعّم بالموت

ترتفع، في مثل هذه الأيام، وتيرة هجرة الشبان الغزّيين الى تركيا، التي يتخذونها معبراً الى اليونان. ارتفاعٌ يعيد تسليط الضوء على هذه القضية التي تتعدّد فصولها الفاتحة، ما بين الأراضي التركية، حيث الملاحقة والاعتقال، والبحر الذي لا يرحم أحداً، والأراضي اليونانية حيث الإهمال الفلسطيني الرسمي للوافدين

إسطنبول ــ **الأخبار**

ينتقل شبّان قطاع غزة، الهاربون من واقعهم الاقتصادي السيئ إلى تركيا، البلد الذي يشكّل لغالبيتهم محطة انتقال يعبرون منها إلى اليونان، ثم إلى ما يعتقدون أنه سيكون «جنة الله على الأرض»: أوروبا؛ تعد تركيا الممرّ الأقصر لغالبية الشبان الغزيين، وتحديداً تلك الفئة التي تنتظر عبور المياه الدولية أو قطع نهر إيفروس الحدودي للوصول إلى ضفته الثانية في اليونان. يفضّل غالبية الغزيين الهجرة على استصدار إقامات على الأراضي التركية تفادياً لمصاريف كثيرة تتطلبها هذه الأخيرة، على الرغم من أن عدم استصدارهم بطاقات إقامة من شأنه أن يدخلهم في عدة مشاكل قانونية في حال إلقاء الشرطة التركية القبض عليهم، التي تظهر في المقابل تهاوناً في مسألة الترحيل خارج البلاد لحاملي الجنسية الفلسطينية.

الطريق إلى اليونان، كما يصفه بعض الشبان المهاجرين إلى تركيا، يشبه إلى حدٍ كبير ما يُعرف في غزة بـ«التنسيقات»؛ إذ يجري التعامل مباشرة مع المهرّب، فيما يودع مبلغ يبدأ من ألف ومئتي دولار لدى شركة تأمين هناك، هي الطرف الثالث الذي يفترض أن يضمن وصول المهاجر إلى اليونان مقابل حصول المهرّب على ماله من الشركة، غير أن مخالفات كثيرة تشوب هذه العملية. ووفقاً للشبان، فقد تعرّض عدد كبير منهم لعمليات نصب واحتيال من قِبَل المهرّبين وشركات التأمين التي تنشط في المدن الساحلية كإزمير وأيدن وأدرنة، فيما يكتفي الأمن التركي بإجراء ملاحقات شكلية لإظهار التزامه ببنود اتفاق اللاجئين الذي وقعته تركيا مع الاتحاد الأوروبي في آذار/ مارس 2016.

بشكل عام، لا تتشدد تركيا في ملاحقة المهاجرين على أراضيها. وفي حال ضبطها مجموعات منهم، تكتفي بترحيل القادمين من الدول التي لا تعيش نزاعات مسلحة إلى بلدانهم الأصلية، فيما تبقي على البقية ـ القادمين من دول تشهد حروباً ـ في الحجز لديها، قبل أن تصدر بحقهم أحكامٌ بالسجن مع وقف التنفيذ، ويتم إطلاق سراحهم لاحقاً، ليعاودوا الكرّة من جديد. وتخضع المداهمات التي تقوم بها الشرطة التركية، في هذا الإطار، لقانون مكافحة الهجرة غير الشرعية، والذي يعطي الحق للمحاكم التركية ذات العلاقة بإصدار أحكام سجن بحق المهاجرين غير الشرعيين، أو ترحيلهم خارج البلاد، وينص أيضاً على تجريم المهرّبين أفراداً أو منظمات، ومعاقبتهم بالسجن. وتستخدم في عمليات المداهمة غازات تُطلق على الشبان داخل الفنادق التي ينزلون فيها ليسهُل اعتقالهم.

منتصف الشهر الماضي، توفي الشاب محمد أبو شملة بعد مداهمة الشرطة التركية سكناً شبابياً يقيم فيه شبان غير حاصلين على الإقامة، لتنتهي المطاردة بمحاولة هروب أبو شملة، ووفاته بفعل سقوطه من مكان مرتفع. يقول أحد أقارب المتوفى: «تسلّمت جواز سفره فقط، كاماتان له لدى الأمن التركي»، بينما تقول مصادر في العائلة إن هناك أغراضاً أخرى كانت معه ولم تعثر عليها، مشيرة إلى أنها سلّمت للأمن التركي. النهاية المأسوية لمحمد هي واحدة من قصص عديدة لشبان هاجروا من غزة إلى تركيا عبر ما يُعرف بـ«خلية الإنقاذ والمتابعة»، وهي غرفة محادثة على موقع «فيس بوك»، تنقل أخبار الراغبين في الهجرة. وتضجّ الغرفة، بشكل شبه يومي، بمناشدات شبان يتم اعتقالهم على يد الأمن التركي، إما أثناء محاولتهم الهجرة إلى الجزر اليونانية، أو داخل البلاد لعدم حصولهم على الإقامة، علماً بأن الإقامة السياحية تكلف ما قيمته 400 دولار تقريباً. ووفقاً لأحد المصادر هناك، فإن عدداً كبيراً من الشبان يرغبون في العودة بعدما أصبحوا مطاردين من المهرّبين، «فمن يتقدم بشكوى أو يتحدث عن مهرّب»، يضع نفسه في دائرة الاستهداف.

الناشط في المجال الإنساني في اليونان، إبراهيم العبادلة، يشير إلى الجانب الأخطر من الرحلة، المتمثل في غرق عدة شبان في المياه الدولية أو الإقليمية لليونان، ما «يصعّب التعرف إلى كثير منهم كون عملية الهجرة لا تتم في مكان موحد في اليونان». وتحظر السلطات اليونانية معرفة أسماء المتوفين إلا لدرجة القرابة الأولى أو سفارة البلد الذي ينتمون إليه، «والسفارة الفلسطينية تتعامل في أثينا مع الشبان الوافدين من غزة على أنهم خارجون عن القانون، ولا تبحث قضاياهم لا من قريب ولا من بعيد»، وفق العبادلة. ويقدّر العبادلة، في حديثه إلى «الأخبار»، عدد الشبان الفلسطينيين الموجودين في أثينا بحوالى 3 آلاف، وهؤلاء غالباً يتخذون من اليونان مقرّاً مبدئياً قبل التوجّه إلى أوروبا، مشيراً إلى أن عدداً كبيراً من الشبان الوافدين يعتقلهم الأمن اليوناني، ويتعرّضون للتعذيب وإهانات عديدة، قبل نقلهم إلى مراكز اللجوء التي لا تقل رعباً ووحشية عن مراكز الاعتقال. ويلفت إلى أنه تم تسجيل وفاة 18 شاباً من غزة غرقاً في نطاق الحدود الإقليمية لليونان خلال العامين الأخيرين، فيما لم يُعرف عدد من غرق في نطاق الحدود الدولية. وكان تقرير عبري قد تحدث عن هجرة 35 ألف فلسطيني من القطاع خلال العام الماضي، بينهم 150 طبيباً، لافتاً إلى وفاة 13 شاباً خلال هجرتهم من تركيا إلى اليونان، لكن ليس هناك أرقام فلسطينية رسمية في هذا الشأن.

وتخضع طريقة التعامل مع مسألة الهجرة، غالباً، لحسابات العلاقة التركية ـ الأوروبية، «فهي علاقة عكسية»؛ إذا تحسنت الظروف السياسية بينهما تتشدد السلطات التركية مع المهاجرين وتضعهم في معتقلات (تفيد التقديرات المبدئية بوجود حوالى مئة شاب من غزة في المعتقلات التركية)، بينما تخفف من وتيرة إجراءاتها في حال انتكاس العلاقة مع الأوروبيين. كذلك، ترتبط وتيرة الهجرة من تركيا إلى اليونان بالأحوال الجوية؛ ففي مثل هذه الأوقات ترتفع معدلاتها بشكل واضح.

السفارة الفلسطينية تتعامل مع الغزيين كخارجين عن القانون (أ ف ب)

العلاقات الإيرانية الأميركية: فرق إطفاء وفرقة إشعال

طهران ــ **مجيد مرادي**

منذ انطلاق حاملة الطائرات الأميركية «أبراهام لينكولن» إلى المنطقة، والتي رافقها استعداد إيراني للدفاع، زاد منسوب الارتباك لدى إدارة الرئيس دونالد ترامب، يبدو أنه ليس هناك من يصدّق التأكيد الأميركي على عدم نية «العم سام» الهجوم عسكرياً على إيران، كما لم يصدّق أحد تعهّد طهران بعدم إغلاق مضيق هرمز في أي حال. التحركات العسكرية التي أبدتها إيران تحسباً لأي طارئ على حدودها الجنوبية البحرية، والتي لم تكن بعيدة عن الأنظار، تكشف بحدّ ذاتها هشاشة الوضع الأمني في الخليج، ما يدفع بأكثر من دولة نحو التحرك من أجل تهدئة التوتر وتجنيب المنطقة نشوب الحرب بين إيران والولايات المتحدة. بناءً عليه، شهدت إيران خلال الأسبوع الجاري زيارات وفود سياسية، معلنة وسرية، تحاول احتواء الأزمة التي لن تقتصر نيرانها على البلدين المتورّطين، بل تتعداهما إلى جميع دول المنطقة.

وبعد زيارة سرية لمبعوث قطري لطهران، أعادت زيارة وزير الخارجية العماني، يوسف بن علوي، المفاجئة، الاثنين الماضي، إلى الأذهان، الوساطة الناجحة التي قامت بها سلطنة عُمان بين البلدين في عهد الرئيس باراك أوباما، وأدت إلى المفاوضات النووية. ما يميز «الوساطتين» هو أن طهران في عام 2012 لم تثق بواشنطن إلا بعدما طمأنتها مسقط إلى أن أوباما يعترف بحق إيران في تخصيب اليورانيوم على أراضيها وبالسيادة الإيرانية. لكن يبدو أن الزائر العماني اليوم لم يحمل معه أي رسالة تستحق النظر، سوى أن ترامب مستعد للتفاوض، مع تأكيد على أن الولايات المتحدة لا تريد إسقاط النظام الإيراني، وإنما تغيير تصرّفاته، ولهذا شددت عقوباتها. والتحق الألمان بفرق الإطفاء، عبر زيارة المدير العام السياسي لوزارة الخارجية الألمانية لطهران، والتي تمت تمهيداً لزيارة وزير الخارجية الألماني، مع مطالبة إيران بضبط النفس.

كما أن ثمة جهوداً عراقية تجرى، بالتواصل مع الكويت، لتخفيف التوتر بين إيران والولايات المتحدة. ودخلت اليابان على الخط أخيراً، بعد مضي أسبوع على زيارة وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف، لطوكيو، ولقائه رئيس الوزراء الياباني، شينزو آبي، حيث أعلن عن زيارة قريبة للأخير لطهران الشهر المقبل. وتنبع أهمية زيارة آبي من أنها ستكون الأولى بعد 40 عاماً، وتشي بأنها مرتبطة بنتائج زيارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، لطوكيو اليوم. يبدو أن العلاقة الشخصية التي يتمتع بها رئيس الوزراء الياباني مع الرئيس الأميركي تتيح له القيام بوساطة ناجحة بين إيران والولايات المتحدة. واليابان من الزبائن التقليديين لنفط إيران، وتتضرر من العقوبات الأميركية التي تشملها في حال استمرارها في شراء النفط الإيراني.

الجهود التي تبذلها قطر وعُمان والعراق وألمانيا واليابان، وغيرها، يوازيها صمت طويل سعودي ــ إماراتي ــ إسرائيلي (فرقة الإشعال). وهؤلاء الأطراف، الذين كانوا يحرّضون الولايات المتحدة ضدّ إيران من أنها ستكون الأولى بعد 40 عاماً، وتشي بأنها مرتبطة بنتائج زيارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، لطوكيو اليوم. يبدو أن العلاقة الشخصية التي يتمتع بها رئيس الوزراء الياباني مع الرئيس الأميركي تتيح له القيام بوساطة ناجحة بين إيران والولايات المتحدة. واليابان من الزبائن التقليديين لنفط إيران، وتتضرر من العقوبات الأميركية التي تشملها في حال استمرارها

اعلت طريف عن زيارة قريبة لرئيس الوزراء الياباني هي الاولى منذ 40 عاما (أ ف ب)

تقرير

حكومة نتنياهو تتعثّر: ارتفاع أسهم الانتخابات المبكرة

يحيى دبوق

باتت خيارات رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، في سعيه إلى تشكيل حكومته الخامسة، ضيقة جداً، بعد فشل مفاوضاته مع رئيس حزب «إسرائيل بيتنا» أفيغدور ليبرمان، الذي اشترط ما يتعذر على نتنياهو مجاراته فيه. ويأتي التعثر بعدما رفض ليبرمان أي تنازل عن اشتراط سنّ قانون يلزم طلاب العلوم الدينية (الحريديم) بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وهو ما ترفضه الأحزاب الدينية، وتشترط في المقابل إلغاءه، علماً أن نتنياهو بحاجة إلى ضمّ الجانبين إلى تشكيلة حكومته المقبلة لتأمين الأغلبية اليمينية في الكنيست.

ومع اقتراب المهلة القانونية المعطاة لنتنياهو من نهايتها يوم الثلاثاء المقبل، من دون أي بادرة لحلحلة تناقض المواقف بين الجانبين، باتت فرضية التوجه إلى الانتخابات من جديد أكثر من معقولة. على هذه الخلفية، بدا تراشق الاتهامات بين «الليكود» و«إسرائيل بيتنا» حول من يتحمّل مسؤولية إفشال تشكيل حكومة اليمين جزءاً من الحملة الانتخابية المقبلة للجانبين، على رغم أن فرصة التوّصل إلى تسوية تبقى قائمة حتى الساعة الأخيرة من المهلة القانونية.

وكان نتنياهو قد جمع أحزاب اليمين التي سمّته لتشكيل الحكومة في «لقاء طارئ» تخلّف عنه ليبرمان، وتقرّر في أعقابه التوجه إلى تقديم حكومة من ائتلاف ضيق يضمّ 60 عضواً من أعضاء الكنيست، على أن يُدعى ليبرمان إلى الانضمام إليه. وسيفاً سارع ليبرمان إلى رفضها أمس، معلناً أنه سيصوّت ضد حكومة لن يكون جزءاً منها. ورأى أن حكومة كهذه ليست يمينية، بل حكومة «شريعة توراتية» تستند إلى الابتزاز.

ويتيح القانون الإسرائيلي للائتلاف نيل الثقة بأغلبية أعضاء الكنيست الموجودين في القاعة العامة لدى التصويت على الثقة، الأمر الذي يعني أن ائتلافاً من 60 عضو كنيست، في حال غياب أعضاء حزب «إسرائيل بيتنا» عن الجلسة (خمسة أعضاء)، سيكون كافياً لنيل الثقة، علماً أن حجب الثقة لاحقاً يتطلب بحسب النص القانوني أغلبية 61 عضو كنيست.

وكشف ليبرمان، في حديث مع الإذاعة العبرية، أنه تلقى «عروضاً» من «الليكود» بتشكيل حكومة أخرى، في إشارة منه إلى إمكانية تسمية شخصية «ليكودية» غير نتنياهو لتشكيل الحكومة، إلا أنه أعرب أيضاً عن رفضه ذلك، وقال إن «هذه هي المرة الأولى منذ قيام الدولة التي يفوز فيها أحدهم بانتخابات كبيرة ويفشل في تشكيل حكومة، وكل ذلك بسبب الغرور والغطرسة». وشدد على أن شرط إقرار قانون التحاق الحريديم «شرط لا رجعة فيه، وقد انتهت الأيام التي يتراجع فيها العلمانيون أمام الابتزاز الديني، حتى ولو أدى ذلك إلى انتخابات مبكرة، وفي هذه الحالة يكون نتنياهو هو الذي أفشل تشكيل حكومة اليمين بسبب رضوخه لابتزاز الأحزاب الدينية».

من جهته، أعرب رئيس طاقم التفاوض في «إسرائيل بيتنا»، عوديد فورر، عن استغرابه رضوخ «الليكود» في كل مرة لمطالب «الحريديم»، «فيما يُطلب منّا أن نتخلى عن مبادئنا». وأكد أن حزب «إسرائيل بيتنا» معنيّ بالانضمام إلى الحكومة، لكنه لن يتنازل في شأن قانون التجنيد. وأضاف فورر، في حديث إذاعي، أنه في حال بقاء حزبه خارج الائتلاف الحكومي، فلن يمنح الثقة لحكومة تعتمد على ستين عضو كنيست، إذ من شأن حكومة كهذه قيادة إسرائيل إلى دولة دينية.

في المقابل، ردت مصادر في «الليكود» على ليبرمان، وطالبته بالانضمام إلى حكومة يمينية يرأسها نتنياهو. وذكرت المصادر، في حديث مع الإذاعة العبرية، أنه «لن يكون هناك بديل آخر، تماماً كما قرر قادة الأحزاب السياسية أمس». واتهمت المصادر، ليبرمان، بصورة غير مباشرة، بالعمل لمصلحة اليسار، وهي التهمة التي تُعدّ في الوسط اليميني إهانة، قائلة: «يجب أن نجد طريقة مشتركة لتشكيل هذه الحكومة، ومنع تشكيل حكومة يسارية». وإزاء احتمال حكومة من ائتلاف ضيق وبثقة محدودة، أشارت المصادر نفسها إلى أنها لا تعوّل كثيراً على «حكومة الستين»، وتوقعت ألا تصمد طويلاً أمام الضغوطات، ورأت أنه لن يكون هناك مناص من حلّ الكنيست وإعلان انتخابات جديدة.

المشهد التفاوضي الذي انتقل من الغرف المغلقة إلى العلن، مع توجيه الاتهامات والتهديد بانتخابات جديدة، لا يعني بالضرورة ـ على رغم كل ما يتردّد من مواقف متشددة وتعنت ـ أن الثلاثاء المقبل سيمرّ من دون إعلان الحكومة، وإن كانت الفرضية أيضاً قائمة. فكلا الجانبين لا يريدان المسارعة إلى التنازل أو الذهاب إلى تسوية قبل انقضاء مهلة التكليف، ضمن ما يمكن وصفه بـ«صراع إرادات حتى اللحظة الأخيرة».

> الزائر العماني اليوم لم يحمل معه أي رسالة تستحق النظر

الحدث

لندن
سعيد محمد

لا أحدَ يذرف دُموعاً على «المرأة الحديدية»

استقالة تيريزا ماي، رئيسة الوزراء البريطانية المستحقة، والتي بدا أنها تأخرت كثيراً بحسب ردود الأفعال، ستكون بمثابة نهاية رمزية لنظام سياسي قديم أوصل المملكة المتحدة، بنخبتها الحاكمة وطبقتها العاملة، إلى واحدة من أسوأ مراحلها التاريخية في كافة المجالات. كذلك، ستُطلق فاتحة مرحلة أكثر اظلاماً، فيها وحوش كثيرة وتنانين، قبل أن يولد نظام سياسي جديد لا يبدو أنه في وارد التبلور في وقت قريب

بريطانيا: الأسوأ آتٍ

في خطاب مقتضب ألقته من أمام مقرّ رئاسة الوزراء البريطانية في «10 داونينغ ستريت»، صباح أمس، أعلنت تيريزا ماي، رئيسة الوزراء الأسوأ في تاريخ المملكة المتحدة ـ باتفاق الكثيرين ـ عزمها على الاستقالة من رئاسة حزب «المحافظين» الحاكم، وحكماً من المنصب التنفيذي الأرفع في البلاد يوم السابع من حزيران/ يونيو المقبل، وأنها أبلغت الملكة إليزابيث الثانية مسبقاً بذلك. ويبدو أن الرئيسة العتيدة أرادت تأجيل ما بدا محتّماً بعد جلسة مجلس العموم، يوم الثلاثاء الماضي، لعدة أيام، تجنّباً لإرباك زيارة الدولة التي سيقوم بها الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إلى لندن. وبينما حاولت ماي التظاهر بالقوة، إلا أنها تهدّجت وبكت كطفلة، من دون أن تجد أحداً ليصدّقها أو ليذرف على رحيلها الدموع، لا بين رفاقها في السلطة وحزب «المحافظين» الحاكم ولا من أعدائها في المعارضة أو الأقاليم، ناهيك عن كمّ تشفّ شعبي محلي وأوروبي غير مسبوقيْن، وذلك بعدما استنفدت كل رصيدها من المصداقية والتعاطف، إثر ثلاث سنوات من العناد والانغلاق وسوء الإدارة.

كانت ماي تراهن، حتى اللحظة الأخيرة، على حصولها على تأييد من مجلس العموم لمشروع الاتفاق الذي توصّلت إليه مع الاتحاد الأوروبي في شأن طريقة تنفيذ «بريكست»، بعدما كان قد رفضه المجلس ثلاث مرات. وهي حاولت تقديم تنازلات لمختلف الأطراف، سواء المؤيدين لفكرة إنهاء عضوية المملكة أو المعارضين لها. لكن ذلك لم يقنع أحداً، فاعلن جيريمي كوربن ـ زعيم المعارضة ـ فشل الحوار بين الطرفين بهذا الخصوص، بينما تقلّصت قاعدة الدعم لها داخل حزبها إلى مستوى استقالة رئيسة كتلة النواب «المحافظين» في البرلمان، دوروثي ريدفورد، وانسحاب عدد من الوزراء المؤيدين لها، وتهديد آخرين بالاستقالة، ما اضطرها إلى الإعلان عن موعد رحيلها.

استنفدت كل رصيدها من المصداقية والتعاطف إثر ثلاث سنوات من العناد وسوء الإدارة (أ ف ب)

> رأى كثيرون أن «إرث ماي» سيُرسم عبر الخسارات والإذلال العام

«داونينغ ستريت» أمامها، بعدما أعلن عضوان استقالتهما. لكنه كان، في الوقت نفسه، العامل الذي حدّد خطوط رئاستها وسيطر عليها ودمّرها!

بعد فوزها بالسباق لخلافة كاميرون رئيسةً للحكومة، كان شعار ماي هو «بريكست يعني بريكست»، في إشارة إلى إصرارها على احترام نتائج الاستفتاء. أطلقت العملية الرسمية لخروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي في آذار/ مارس 2017. ولكن بعد ذلك بشهر واحد، اقترفت خطأ حسابياً جديداً، بإعلانها عن انتخابات مبكرة تهدف إلى مساعدة حزبها الحاكم على الاستفادة من تصنيفات استطلاع جيدة. جاءت نتائج هذه الانتخابات عكسية وكارثية، ذلك أن حزبها خسر غالبيته في البرلمان. خسارةٌ ستضرب قدرة ماي لاحقاً على الحصول على صفقتها لـ«بريكست».

خلال حملتها الانتخابية، كرّرت ماي شعارها عن أنها هي وحدها القادرة على تأمين «قيادة قوية ومستقرة» من أجل تخطّي خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. ولكن عندما أعلنت خطتها لـ«بريكست»، ترك عدد كبير من الوزراء الحكومة اعتراضاً على ما وصفوه بـ«اتفاق تنازل لا يلبّي نتائج الاستفتاء». عنى ذلك يومها أنها بدأت بالظهور بمظهر منعزل في الداخل، كما كانت أثناء قمة الاتحاد الأوروبي، حين لم يكن هناك من تتحدّث معه، لتلي ذلك هزائم مدوية ومتتالية داخل أروقة البرلمان، تمثّلت برفض اتفاقها للخروج عندما عُرض أمام مجلس العموم في كانون الثاني/ يناير 2019، ومن ثم رفضه للمرة الثانية في منتصف آذار/ مارس، ولاحقاً لمرة ثالثة في الـ 29 من الشهر نفسه، أي في اليوم الذي كان من المفروض أن تخرج فيه بريطانيا من التكتّل.

أخيراً، في جلسة الثلاثاء الماضي في مجلس العموم، رفض النواب اتّفاق الانفصال الجديد، واضعين المزيد من الضغوط على قيادتها، لتنهي ماي أي مراوغة، أمس، بالدموع، مُحوّلة شعار «بريكست يعني بريكست» إلى «لم أتمكّن من تسليم بريكست».

(الأخبار)

تيريزا ماي... الرئيسة التي هزمها «بريكست»

أمس، أعلنت تيريزا ماي استقالتها، واضعة حدّاً لثلاث سنوات عجاف، عاشتها هي وحزب «المحافظين» وبريطانيا ككل. ولكن قبل ذلك، كانت لماي حياة سياسية حافلة وناجحة. تسبّبت هفواتها وقراراتها الأخيرة بتحويلها إلى «إرث من الفشل»

(جيرد روباداس ـ هولندا)

«سيجري تذكّر تيريزا ماي في النهاية على أنها رئيسة الحكومة التي هزمها بريكست». بهذه العبارة عَلّقت صحيفة «ذي غارديان» على وضع ماي حدّاً لمعاناتها أمام قيادات حزبها ومجلس العموم والاتحاد الأوروبي، بعد أشهر على جهودها في سبيل إمرار صفقتها للخروج من التكتّل. «لم أتمكّن من تسليم البريكست»، قالت في خطابها العاطفي الذي ألقته، أمس، على بعد خطوات من مبنى «داونينغ ستريت»، مُذعنة لواقع كانت تعانده منذ فترة. «لقد بذلت قصارى جهدي»، أضافت، معترفة في الوقت ذاته بأن ذلك لم يكن كافياً.

ثلاث سنوات عجاف قضتها ماي في رئاسة الحكومة، كانت كافية لتمحو حياة سياسية ناجحة وحافلة بالإنجازات، في مختلف المناصب التي تبوّأتها. انتُخبت عضواً في البرلمان عن مقاطعة ميدنهاد عام 1997. وهي، منذ ذلك الحين، تتنقّل من منصب إلى آخر في البرلمان وخارجه. كانت عضواً في حكومة الظل من عام 1999 إلى عام 2010. ومن عام 2002 إلى عام 2003، كانت المرأة الأولى التي تترأس حزب «المحافظين».

نقطة التحوّل في حياتها السياسية برزت عام 2002، أثناء خدمتها كرئيسة لحزب «المحافظين»، حينما خاطبت أعضاء الحزب في مؤتمره السنوي. كان «المحافظون» خارج السلطة لمدة خمس سنوات، في ظل فوز حزب «العمّال» مُمثّلاً بتوني بلير برئاسة الحكومة. «قاعدتنا ضيقة جداً. أنتم تعرفون ماذا يسمّينا البعض: الحزب السيئ»، قالت ماي خلال ذلك المؤتمر، لتمهّد بخطابها الطريق أمام حقبة جديدة. في عام 2005، انتخب الحزب ديفيد كاميرون قائداً. عرف هذا الأخير أهمية دعم ماي، فجعَلها حليفة قريبة منه. وجنباً إلى جنب، مع أعضاء آخرين في الحزب، أشرف على التحديث الشامل لـ«المحافظين». أصبح كاميرون رئيساً لحكومة ائتلافية مع الديموقراطيين الليبراليين من يسار الوسط عام 2010. ومرة أخرى، وسط إدراكه أهمية ماي واستقطابها للأعضاء الأكثر محافظة في قاعدة الحزب، جعلها وزيرة للداخلية. كانت هذه الأخيرة تُعتبر دائماً واحداً من أقوى أعضاء مجلس الوزراء. وبناءً على هذا الاعتبار، اختيرت لقيادة الحزب في فترة «بريكست». وبناءً عليه أيضاً، اختارها أعضاؤه لتصبح رئيسة للحكومة في آذار/ مارس 2016. ولكن منذ ذلك الوقت، تراجع أداء ماي و«المحافظين». وادى سوء إدارة «المحافظين»، وسوء تحكّم الحزب بـ«بريكست»، إلى إذلال إحدى أقدم وأبرز المنظمات البريطانية السياسية، حتى وصل الأمر بالبعض إلى حدّ التأكيد أن «إرث ماي» سيُرسم عبر الخسارات، والإذلال العام، والخطأ الكارثي في الحسابات.

بدا هذا الخطأ يظهر على العلن قبل شهر من الاستفتاء على الخروج من الاتحاد الأوروبي، عندما كانت ماي تخوض حملة من أجل بقاء بريطانيا في التكتّل. «أظن بأن الحجج الاقتصادية واضحة. أعتقد بأن كوننا جزءاً من كتلة تجارية بيننا تقلّصت قاعدة الدعم لها داخل حزبها إلى مستوى استقالة رئيسة كتلة النواب «المحافظين» في البرلمان، دوروثي ريدفورد، وانسحاب عدد من الوزراء المؤيدين لها، وتهديد آخرين بالاستقالة، ما اضطرها إلى الإعلان عن موعد رحيلها.

> رأى كثيرون أن «إرث ماي» سيُرسم عبر الخسارات والإذلال العام

«داونينغ ستريت» أمامها، بعدما أعلن عضوان استقالتهما. لكنه كان، في الوقت نفسه، العامل الذي حدّد خطوط رئاستها وسيطر عليها ودمّرها!

بعد فوزها بالسباق لخلافة كاميرون رئيسةً للحكومة، كان شعار ماي هو «بريكست يعني بريكست»، في إشارة إلى إصرارها على احترام نتائج الاستفتاء. أطلقت العملية الرسمية لخروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي في آذار/ مارس 2017. ولكن بعد ذلك بشهر واحد، اقترفت خطأ حسابياً جديداً، بإعلانها عن انتخابات مبكرة تهدف إلى مساعدة حزبها الحاكم على الاستفادة من تصنيفات استطلاع جيدة. جاءت نتائج هذه الانتخابات عكسية وكارثية، ذلك أن حزبها خسر غالبيته في البرلمان. خسارةٌ ستضرب قدرة ماي لاحقاً على الحصول على صفقتها لـ«بريكست».

خلال حملتها الانتخابية، كرّرت ماي شعارها عن أنها هي وحدها القادرة على تأمين «قيادة قوية ومستقرة» من أجل تخطّي خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. ولكن عندما أعلنت خطتها لـ«بريكست»، ترك عدد كبير من الوزراء الحكومة اعتراضاً على ما وصفوه بـ«اتفاق تنازل لا يلبّي نتائج الاستفتاء». عنى ذلك يومها أنها بدأت بالظهور بمظهر منعزل في الداخل، كما كانت أثناء قمة الاتحاد الأوروبي، حين لم يكن هناك من تتحدّث معه، لتلي ذلك هزائم مدوية ومتتالية داخل أروقة البرلمان، تمثّلت برفض اتفاقها للخروج عندما عُرض أمام مجلس العموم في كانون الثاني/ يناير 2019، ومن ثم رفضه للمرة الثانية في منتصف آذار/ مارس، ولاحقاً لمرة ثالثة في الـ 29 من الشهر نفسه، أي في اليوم الذي كان من المفروض أن تخرج فيه بريطانيا من التكتّل.

أخيراً، في جلسة الثلاثاء الماضي في مجلس العموم، رفض النواب اتّفاق الانفصال الجديد، واضعين المزيد من الضغوط على قيادتها، لتنهي ماي أي مراوغة، أمس، بالدموع، مُحوّلة شعار «بريكست يعني بريكست» إلى «لم أتمكّن من تسليم بريكست».

(الأخبار)

◄ وفيات ►

بمزيد من الرضا والتسليم ننعى
البكم المغفور لها بإذنه تعالى
الحاجة بلقيس محمد عجمي الحسيني
ارملة المرحوم السيد محمد احمد الحسيني
اولادها: احمد زوجته جون ايفا هنري واولاده محمد، الكسندر، رمزي وزياد
الدكتور نبيل واولاده شادي، ياسمين والمرحوم ريان
المهندس باسم واولاده نور، زينب، فرح واحمد
وعلي زوجته نادين عريسي واولاده من ريم الهندي سمير، عامر، مازن، وليد، محمد.
بناتها: غنوة ارملة المرحوم العميد الركن عبدالله الحسيني
واولادها نادين زوجة رامي ناصر، وائل، احمد
اشقاؤها: المرحوم حسين، المرحوم علي، المرحوم احمد والمرحوم عباس
شقيقاتها: المرحومة مريم ارملة المرحوم فايز خليل، سكيبة،
وجيهة ارملة المرحوم النائب السابق ممدوح العبدالله،
المرحومة سكنة زوجها وليد دودين والمرحومة زينب زوجة المرحوم عدنان علوية
تقبل التعازي في بيروت في جمعية التخصص والتوجيه العلمي، الرملة البيضاء قرب مديرية أمن الدولة اليوم السبت 25 ايار من الساعة الثالثة الى الساعة السادسة مساءً.
الأسفون: آل الحسيني، آل العجمي، آل عريسي، آل خليل، آل العبد الله، آل دودين، آل علوية.
إنا لله ما أخذ، وله ما أعطى، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون
اللهم ارحمها واغفر لها واسكنها فسيح جناتك.

◄ ذكرى ►

يُصادف اليوم السبت 25 أيار ذكرى مرور أسبوع على وفاة
الحاجة عواطف محمد عز الدين
والدتها: المرحومة الحاجة آمنة الشيخ محمود عز الدين
وبهذه المناسبة ستتلى آيات من الذكر الحكيم في حسينية بلدتها باريش قضاء صور عند الساعة الرابعة بعد الظهر.

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات

الأخبار

هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأنه قد تم تعديل مهلة تقديم العروض لتقديم وتركيب خزانين بسعة 25000 م3 للخزان الواحد لمادة الفيول اويل في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/4633 تاريخ 2017/5/3، لتصبح يوم الجمعة 2019/6/14 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 500/ ل.ل.
علما بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي.
بيروت في 2019/5/20
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 861

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لتأمين حواجز مطاطية عند مخارج الاقنية الى البحر لمنع تسرب مادة الفيول اويل في محيط معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4د/1466 تاريخ 2019/2/13، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2019/6/21 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ ل.ل.
علما بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق «12» ـ المبنى المركزي.
بيروت في 2019/5/21
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 863

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأنه قد تم تعديل مهلة تقديم العروض لشراء مؤشرات قياس ومعدات تحكم توتر منخفض لزوم محطات التحويل الرئيسية.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ امانة السر ـ الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان ـ طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ ل.ل.
تسلم العروض باليد إلى امانة سر كهرباء لبنان ـ طريق النهر ـ الطابق "12" ـ المبنى المركزي (غرفة 1223).
علماً أن آخر موعد لتقديم العروض هو نهار الجمعة الواقع في 2017/2/10 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
بيروت في 2019/5/20
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 865

دعوة

يدعو نقيب الفنانين التشكيليين اللبنانيين اعضاء النقابة الى جمعية عمومية، تعقد في تمام الساعة العاشرة من نهار الاحد الواقع فيه 2019/6/9، في مبنى الجامعة اللبنانية - الادارة المركزية - المتحف، لانتخاب ستة اعضاء للهيئة الادارية. وفي حال عدم اكتمال النصاب تنعقد الجمعية العمومية نهار الاحد الواقع فيه 2019/6/16، ويعتبر النصاب قانونياً بحضور ثلث الأعضاء المسددين لاشتراكاتهم.
في 2019/5/22
نقيب الفنانين التشكيليين اللبنانيين
الدكتور نزار ظاهر

إعلان

بتاريخ 2019/2/26 قرر رئيس الغرفة الابتدائية في بعلبك القاضي وسيم الحجار ابلاغ المدعى عليه محمد ناصر الأوس نشراً بعد تبين انه مجهول محل الاقامة في الدعوى التجارية (تصفية قضائية) والمقامة من وسام مهدي رعد بوكالة الاستاذ محمد الدبس ضد محمد ناصر الاوس والمسجلة برقم اساس 2018/460 مدور 2019/422. لذلك تدعوك هذه المحكمة او من ينوب عنك قانوناً لاستلام اوراق الدعوى وابداء ملاحظاتك عليها خطياً خلال مهلة عشرين يوماً من تاريخ النشر واتخاذ محل اقامة ضمن نطاق المحكمة والا فكل تبليغ لك بواسطة رئيس القلم يعتبر صحيحاً باستثناء الحكم النهائي.
رئيس القلم
وفاء الرفاعي

◄ خرج ولم يعد ►

خرج ولم يعد
هربت العاملة الأثيوبية
EKIMEW TIGIST DEGU
من منزل مخدومتها في زحلة لمن يعرف عنها شيء. 70/427542

◄ للبيع ►

مستودع للبيع
الوردية الحمرا
420 م.م. مع نزلة
بيك اب للاتصال
01 / 364804

25 أيار

عيد المقاومة والتحرير... ولاح لنا الجنوب على بعد وردة *

مراسلون شهود على صرخة التحرير الأولى!

زينب حاوي

في الذكرى الـ19 لعيد «المقاومة والتحرير»، يستعيد اللبنانيون، عادة، تلك الفترة بالبحث عن صور وثقها تلفزيون «المنار» كونه كان السباق إلى مواكبة هذا النهار التاريخي وما قبله وما بعده. صور لنسوة يزغردن، وأخريات ينثرن الأرز على رؤوس المقاومين العابرين. رجال هرمون يعقدون حلقات الدبكة، فرحاً بالتحرير، الى جانب دموع الأهالي الذين التقوا بذويهم بعد ابتعاد قسري. لم يكن وقتها زمن الهاتف النقال، ولا منصات

> فاطمة عواضة كانت اول من دخل المعتقل

«الستريمينغ» (البث المباشر)، ولم تكن التقنيات التلفزيونية، قد أتاحت بعد سهولة البث، والحركة، والنقل المباشر. حلاوة هذا النهار أننا نعود 19 عاماً الى الوراء، لنستذكر وجوه مراسلين/ ات، غاب معظمهم اليوم، عن الشاشة، وانصرف الى مهمات مختلفة في الإعلام. وجوه أسهمت في توثيق ذلك التاريخ، وواكبت تحرير القرى الحدودية، وانحدار الاحتلال الإسرائيلي، وتأثرت بفرح الأهالي، وباللحظات المضيئة التي رسمها نهار 25 أيار عام 2000.

لا شك في أن «المنار» بطاقمها المتواضع وقتها، استحوذت على المشهد. «الأخبار» تواصلت مع وجوه واكبت «التحرير» كمراسلة ميدانية قبل أن تتولى مهمات إعلامية أخرى، حكم أمهز، اسم لازم تلك الفترة وما بعدها. مراسل «المنار» السابق، ترافق اسمه بالطبع مع أجيال واكبت العمل المقاوم إعلامياً. في حديثه معنا، يستذكر أمهز، الذي يعمل اليوم مشرفاً في قناة «العالم»، ويقطن في العاصمة الإيرانية، ويظهر أيضاً على الشاشة كمحلل وخبير في شؤون الشرق الأوسط (نال دكتوراه في العلاقات الدولية)، تلك المرحلة، ويعيدنا الى حقبة ما قبل التحرير، وبدء انسحاب الصهاينة من مواقع استراتيجية مهمة، كـ«سجد»، و«بيت ياحون»، وكيف كان فريق محطته موزعاً على فريقين: فريق يقوده، وآخر يشرف عليه الإعلامي عبد الله شمس الدين. يتوقف عند «جزين» التي لم تكن محررة بالكامل وقتها، وكان عملاء «لحد» ينتشرون في ساحتها. يسرد أمهز حادثة كانت وقتها مغامرة لفريق تلفزيوني، إذ دخل منطقة غير آمنة، وكان معرّضاً للخطر، بسبب «طغيان مشاعر الفرح والعزة عليهم حينها» كما يسرد لنا. في يوم «التحرير»، لم يتسنّ لأمهز ممارسة مهمته الشغوف بها، أي المراسل الميداني. اضطر إلى البقاء في غرفة الأخبار لمواكبة الحدث، بسبب النقص في فريق التحرير. وقتها، واكب البث المباشر، وتحركات المراسلين (الإعلاميان فاطمة عواضة وعباس ناصر). في اليوم الثاني على «التحرير»، نزل أمهز الى الميدان الجنوبي. يتذكر هنا أهالي بلدة «الطيرة» الحدودية مجتمعين في ساحة البلدة، متحلقين حول الدبكة. صار العجوز بينهم يقفز كشاب عشريني، على حدّ وصفه. مشاهد أثرّت في

مراسل «المنار» السابق، ليواكب بعدها عملية الانسحاب من المواقع العسكرية، ويستصرح الأهالي، ويقدّم المراسلون أنفسهم للميديا المحلية والغربية، كشهود عيان على الحدث العظيم. بعد مرور 19 عاماً، ما زال أمهز يحنّ الى العمل الميداني، الذي «يجري في دمائه»، ويشكل بالنسبة اليه «العمود الفقري للعمل الإعلامي». ومع هذه الحسرة، يبقى الاعتزاز بمواكبة تلك الفترة المضيئة، وصفحات «العز »، وانقضاء عصر «الهزائم».

الإعلامي عبد الله شمس الدين، الذي أضحى اليوم يتبوأ منصب رئيس تحرير في قناة «الميادين»، واكب تلك الفترة، عندما كان مراسلاً ميدانياً في «المنار». عن تلك اللحظات، يخبرنا بأن الحدث كان مفاجئاً للجميع، وفاق التوقعات والاستعدادات الميدانية له. وقتها، اتّخذ قرار في المحطة بالبثّ لمدة 12 ساعة يومياً. لكن، بعد أربعة أشهر، تغيّرت المعادلة، وأصبح لزاماً مواكبة الأحداث على مدى عشرين ساعة يومياً، وفتح الهواء لها، الى حين تحوّلها بالكامل الى 24 ساعة متواصلة. لم تكن الظروف التقنية مساعدة في ذاك الحين، وفق ما يسرد لنا شمس الدين، إذ كانت الشرائط ترسل الى بيروت ليبثها من هناك، بسبب صعوبة بثها من المناطق الجنوبية. على سبيل المثال، الشريط الأشهر لتحرير معتقل «الخيام» أرسل الى بيروت، علماً بأن مراسلة المحطة سابقاً، فاطمة عواضة، كانت اول من دخل المعتقل، ووثق هذه اللحظة المجيدة. سرى وقتها مفهوم «المواطن/ المراسل» قبل رواجه اليوم، في الاتكاء على شهادات أهالي القرى المحررة وماذا يحدث داخلها. تسارع تحرير القرى وقتها. كان أكبر من أن يستوعبه فريق متواضع، يتوزع بين التحرير والميدان. يتذكر شمس الدين ـ الذي واكب عملية تحرير «بنت جبيل» الى حين الخطاب الأشهر للأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله، من هناك ـ بلدة «حانين»، التي حولها الاحتلال الى قرية مدمرة بالكامل. أهالي البلدة «الطيرة» الحدودية مجتمعين في ساحة البلدة، متحلقين حول الدبكة. صار العجوز بينهم يقفز كشاب عشريني، على حدّ وصفه. مشاهد أثرّت في

برمجة «المنار»

مواكبة لعيد «المقاومة والتحرير»، ترتدي «المنار» حلتها في هذا النهار. تعدّ برمجتها لمواكبة المناسبة. واستذكار محطاتها المضيئة. البداية صباحاً (8:00) مع عرض لفيلم «ذاهب الى انحار»، يعده تفتح فترة البث المباشر (9:00-11:30)، من منطقة «النفار» (متاخمة لمزارع شبعا المحتلة). مع استضافة وجوه سياسيين ومحللين. عند الساعة 14:30، تعرض القناة فيلم «شهداء المعتقل». وبعد كلمة امين عام «حزب الله» السيد حسن نصر الله (18:00)، تواكب النشرة الإخبارية أيام «التحرير» عبر تقارير يومية توثّق احداث الأيام التي سبقت الحدث وخلاله. بعد ذلك (23:00)، يعرض شريط «سقوط تسادال» (سقوط جيش لبنان الجنوبي) الذي يتناول عملاء «لحد» منذ نشأة الميليشيا وصولاً الى عام 2000 (التحرير).

بالكامل. تداعى الأهالي وقتها الى هناك، وبدأوا بنصب الخيام، بدل منازلهم المهدمة. لحظة أثرت عالياً في مراسل «المنار» السابق. ما زال شمس الدين، كزميله أمهز، يحنّ الى العمل الميداني، معتبراً أن المراسل هو من ينتج عمله، ويقدم بصمته في عمله، بخلاف مذيع الأخبار أو منتج النشرة. وهو لا يبتعد كثيراً عن الشاشة، رغم عمله خلفها، فيطل بين الفينة والأخرى كمحلل للشؤون السياسية.

* إحالة إلى قصيدة مظفر النواب «الطريق إلى الجنوب»

لقد ربحوا الجولة والحرب

محمد ناصر الدين

سجد - صيف 1983

خمس طلوعات لورق الشدة انتصبت على سطيحة البيت في ذلك الصيف من عام 1983. كان أبي يشارك محمود كامل، لأن أبا علي لا يرحم إذا أخطأ شريكه باحتساب الورق، وأبي كان يشغل دماغه كآلة الحاسبة. «طحشة» على مدخل البيت والليل أوشك أن ينتصف، لم يعرها الساهرون انتباهاً. وحدها جدتي أم مهدي، التي تنام عينها ولا ينام قلبها، وضعت منديلها على رأسها وتقدمت نحو بوابة البيت من الغرفة الجانبية. «ولا كلمة، جيش دفاع إسرائيلي»، كان المنظر مهولاً، شاحنة عسكرية باكثر من عشرين جندياً و مآلتان وسيارة الفولفو البرتقالية لضابط المخابرات «الأبرص» القادم من مرجعيون. أمر الأبرص أحد جنوده أن يكمم فم جدتي بيده ليدخل مع البقية في الممر المزنر بورد الجوري ليقف بعديده وعتاده أمام طلوعات الساهرين.

«من صاحب البيت؟» رفع أبي عينيه عن «أس الكبة» الأحمر الجميل ليحدق في الضابط البشع الذي يشبه «دوّة الديناري».

-أنا صاحب البيت، ماذا تريد؟

-أريد علي ناصر الدين.

-معظم الساهرين هنا اسمهم علي ناصر الدين.

- ما تعمل حالك أهبل، أنت بتعرف عن مين عم نحكي.

كان علي جارنا مباشرة في البيت المقابل، قد أذاقهم ورفاقه «زوم الزيتون» في أعالي جبل الريحان. أمر الأبرص أبي أن يتقدم، واضعاً فوهة البندقية في ظهره، ليمشي أمامه إلى بيت «الحاج أسعد». سأله الأبرص «وين بيناموا الشباب؟» أجابه أبي «في الأسفل قرب أبيهم». كان يعرف تمام المعرفة أنهم ينامون في الأعلى في معمل «النباريش»، ويتركون الباب الخلفي من ناحية الغرب مفتوحاً، إذ بقفزة واحدة يصبحون في «الجل» ومنه إلى الجبل الرفيع، حيث لا الأبرص ولا الجن الأزرق يمكنه أن يتتبع أثرهم هناك.

- اطرق الباب لإيقاظ الحاج أسعد.

هكذا قال الأبرص لأبي.

- يا حاج أسعد يا حاج أسعد، قم جاء اليهود. صرخ أبي بأعلى صوته.

ضرب الأبرص أبي بفوهة البندقية، «لم أمرك أن تتوقفه هكذا».

عندها أعاد أبي الصراخ:

«يا حاج أسعد جاء جيش الدفاع الإسرائيلي».

بغمضة عين، فهم الشباب في الأعلى الرسالة وقفزوا من الباب الخلفي. امر الأبرص رجاله بتفتيش البيت بعد فوات الأوان، وانتهت المهمة باعتقال الحاج اسعد الذي وضعوه بالمالحة في ثياب النوم، ثم ارجعوه بعدما تعطلت المالحة قرب مرج الخوخة، أخبرني أحدهم وكنا صغاراً أنه دعا عليها بتعويذة مفعولها كصاروخ الكورنيت. عاد أبي ليسحب أوراق الشدة عن الطاولة، ويغمز محمود كامل بعينه اليمنى، لقد ربحوا الجولة والحرب.

سجد - خريف 1984

جلس محمد ن. يحدق برزمة المال التي بين يديه. أرسلها أبوه من الكويت مع شريط كاسيت فيه بعد السلام أمر مباشر بأن يبني طابقاً ثانياً للبيت قرب «ربعة الجبل». هناك حيث يأتي الضباب عند أول سجد من ناحية الغرب، وحيث يطل محمد على سهل المبدنة في الأسفل: هنا راهنت عمته مناهل مرة أن الساقية التي تتغلغل في الصخر في أعلى الجبل هي ذاتها التي تسري في السهل، راهنوها على قرش عثملي مثقوب ووضعوا تبناً في الساقية ليجدوه يسري في السهل أصفر يلمع فوق الماء. في الناحية الثانية من المسجَل، وضع محمد شريطاً فارغاً: «لاقوا علينا أولاد حرام وسرقوا المصاري يا بيي». كان محمد قد نفذ «الموال» الذي دار في رأسه منذ استلم المال. استعار سيارة البيك أب المخصصة لنقل الماشية من قريبه، ونزل بها إلى منطقة قريبة من قلعة الشقيف. دفع المال لأحد التجار وملأ الشاحنة بالسلاح، أعاد الأغنام إلى الشاحنة وعاد قبل المغيب، لئلا تفاجئه دورية لجيش سعد حداد في آخر السهل. وصل محمد ن. إلى كوع النجاشة فتنفس الصعداء. أشعل سيجارة وتوجه نحو مغارة في أول الجبل الرفيع. أنزل صناديق الأسلحة ورتبها بحسب أحجامها: رف لقذائف الآر-ب-ج وآخر للرمانات وبينهما عشر رشاشات كلاشينكوف وقناصة. كان المطر بدأ يلف سجد من جهاتها الأربع، ومحمد قد أنهكه التعب. ركن الشاحنة أمام البيت، لتقول له الأم: «انظر إلى إطاراتها وقد غاصت في التراب». لعب «الفار» في

> نام حسن قرير العين في تلك الليلة، اتته ناديا لطفي في المنام «تتغندر» في حقول البطاطا

«عب» محمد. أثر الإطارات فوق الرمل سيكون دليل المخابرات الإسرائيلية إلى المغارة، ماذا لو أفلتت كلمة من فم التاجر؟ «مشّى معي هلق». أمسك أمه من يدها ودخلا المغارة ثانية، أخرجا الأسلحة كلّها إلى مكان لا تصله حتى العفاريت. أراد محمد أن يمازح «أبا يوسف»، الضابط الإسرائيلي الذي عرف محمد بحدسه أنه سيأتي. حشا الأكياس الفارغة بالحجارة والتبن، ووضع في الصناديق الفارغة أغطية معدنية من مرطبات «جلول» كان قد جمعها ليلعب بها «الداما» مع أصدقائه. أعاد أمه إلى البيت وجلس في حضن سنديانة ينتظر. ساعتان وأطلت دورية الاستخبارات تتبع أثر الإطارات فوق التراب. فرك الضابط «أبو يوسف» يديه ليفحص الصناديق المكدسة أمامه. تناثر التبن أمام عينيه، وسقطت أغطية «الجلول» على الأرض. كان محمد ن. قد رسم مربعات لعبة الداما بفوهة الكلاشينكوف خلف «أبو يوسف» تماماً، لقد ربحوا الجولة والحرب.

سجد - شتاء 1984

الليل ثقيل في سجد في الشتاء، تتذكر نورا «أم مهدي» أن أهل القرية في صغرها كانوا يخزنون «الأورمة» في الجرة في آخر الصيف ويدخلون بيوتهم الطوبية ليقضوا فيها الشتاء بأكمله، ليأتي أهل قرية الريحان المجاورة في أول نيسان ويرفعوا بمعاولهم الثّلج عن أبواب البيوت. كانت أيام القبضة الحديدية التي فرضتها إسرائيل على قرى الجنوب اللبناني، ففرغت القرية من الرجال: بعضهم في معتقل أنصار والآخر في «الوعر» أو في بيروت البعيدة. كانت نورا تنام عند جارتها «أم عصام» بطلب من الأخيرة التي تخاف حتى من ظلها. أرادت نورا أن تركب «مقلباً» تقضي به على الملل الذي كان يثقل على صدرها كمادة لزجة في ذلك الشتاء الطويل. اتفقت مع جارتها الأخرى أم حسين بأن تحملا بخوراً وشمعاً وتجلسا أول الليل في الحقل المقابل لباب أم عصام. «شو القصة؟» أجابتها نورا بأن لها خالاً مدفوناً تحت التراب، اسمه زين العابدين وأنه كان ولياً صالحاً تمسّح بضريح موسى الكاظم والسيدة المعصومة. لم تلق أم عصام بالاً لليلة الأدعية تلك ونامت قريرة العين. بعد يومين، يُطرق الباب في منتصف الليل. استفاقت نورا ولم تعرف الطارق لأول وهلة: كانت هيئته أشبه بهيئة أهل الكهف. «أنا محمد علي، افتحي يا حجي أم مهدي وما تعملي شوشرة». كان محمد علي في «فتح» في مطلع شبابه، وهو الآن في المقاومة يكمن للجيش الإسرائيلي عند كل صخرة وتلة في جبل الريحان. «بدي اتحمم، صرلي شهر ما اتحممت». «فوت يا قباري»، وضعت كيسين من النايلون في القارّان، استحم محمد علي وخرج قبل مطلع الفجر بعدما قبّل جبينها وبعدما زودته بسرّة كاملة من الطعام له ولرفاقه. في الصباح، سألت نورا أم عصام إن كانت قد استفاقت في الليل. «شفت واحد بالمنام بيشبه الجناني بسم الله الرحمن الرحيم دق الباب وانت فتحتيلو». ضحكت نورا من قلبها وصرخت: «هيدا خالي زين العابدين، تعي يا أم حسين، سبحان من يحيي العظام وهي رميم». لقد ربحت الجولة والحرب.

سجد / النبطية - ربيع 1984

كان علي ش. يشعر بثقل الشريط النحاسي الذي يوثق يديه إلى رجليه عند آخر النبطية من جهة مثلث حاروف. كانوا مجموعة من خمسين رجلاً وقد أُلقي القبض عليهم بعد الخروج من صلاة الجمعة التي كان يؤمّها الشيخ راغب حرب أيام «القبضة الحديدية». نزل المقنع من الشاحنة وبدأ يشير بيده: سحبوا الرجل الأول فالرابع إلى من انتقاهم من الطابور إلى الشاحنة ليأخذوهم إلى عتليت أو إلى أنصار. لم يشر المقنع إلى أحمد، نزعوا العصابة عن عينيه وهدده الا «بوجّه» ثانية نحو مسجد جبشيت. رمق أحمد بعينيه «الريبو» الإسرائيلي حيث يجلس المقنع، كان أحمد قادراً على رصد العنزة الضائعة في سجد في «خلة النبي» وهو واقف عند البركة. رأى أحمد شيئاً وحيداً: وشم على ظاهر يد المقنع اليسرى «ناديا لطفي». رجع أحمد إلى سجد وآخر قريبة حسن الذي كان يقود الجهاز الأمني للمقاومة بالأمر. كان العثور على شخص يضع وشماً من كلمتين في كل قرى النبطية أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش. خطرت ببال حسن فكرة «جهنمية». كانت الدورية الإسرائيلية قد تم رميها بالقنابل في ساحة عاشوراء، أوعز حسن إلى أصدقائه في النبطية ببث إشاعة مفادها أن الرمانات اليدوية كان قد تم وضعها في صناديق البطاطا، وأن المقاومين كانوا ينحنون على الصناديق متظاهرين بالتبضع ليرموها واحدة تلو أخرى على الدورية.

وعد حسن بائعي الخضار بأن يشتري كل صناديق البطاطا لو عثروا له على عاشق ناديا لطفي المتيّم. كانت الفكرة بسيطة، يقترب البائع من كلّ من يريد أن يشتري البطاطا و«خليني ساعدك يا قباري»، ويحدق في يديه أو يساله عن الساعة. كاد اليأس أن يستولي على قلب حسن لولا أنه بعد أيام قليلة اقترب أحدهم من أبي ابراهيم الخضرجي، طالباً أن يخرج الصناديق قليلاً نحو الشمس. أراد الرجل أن يتحقق من المسافة التي كانت تفصل الرامي عن المظلة. ناوله أبو ابراهيم الكيس ليبصر الوشم على اليد اليسرى.

نام حسن قرير العين في تلك الليلة، اتته ناديا لطفي في المنام «تتغندر» في حقول البطاطا. لقد ربح الجولة والحرب.

نوال عيود ـ «جنوب لبنان» (1978)

قلبها الأبيض مثل قلب لوركا

أحمد محسن

واحد، اثنان، ثلاثة، عشرة، عشرون، واحد وخمسون، ألفان وواحد، إلخ. في الزنزانة الواحدة ظهراً مثل الرابعة فجراً ومثل الثامنة ليلاً. عين سهى هي قلبها. وقلبها أبيض مثل قلب لوركا وفي حجم يده. قلبها ساعة الحائط، وظهر المعتقلة الملتصق ببرد الزنزانة، هو الحائط. الزنزانة صندوق، والصندوق كان بشراً في الأساس. أما الزنزانة فلن تصير منزلاً في حياتها. المعتقلون، عندما يتذكرون، يسمعون نباحاً. واحد، اثنان، ثلاثة، عشرة، عشرون، واحد وخمسون، ألفان وواحد، إلخ. الأصوات تتكرر، لكن لا حناجر. الزنزانة لا تتوقف عن ابتلاع الهواء. بين المبنيين الأساسيين في المعتقل، ساحة للعربات الضخمة، وفي المنتصف عمود التعذيب: عظمة ضخمة للجلادين، الذين ينبحون فوق أجساد ضحاياهم.

كانوا في الداخل، يرتدون الظلام. وعندما فُتحت الزنازين، وجد الفاتحون وجوهاً مستعملة. لكنها بدت جديدة. أبو علي حطم 9 زنازين. دعاء كانت في العاشرة، تخيفها رائحة المكان. على الأرض صحف بالعبرية، وبقايا الهاربين. وثمة من راح يجمع ثياب المعتقلين، الذين كانوا في الداخل، يرتدون الظلام. زارت هبة المعتقل، دخلت إلى زنزانة أقام فيها شقيقها في 1986. أغلقت الباب قليلاً. جلست خمس دقائق، وغادرت الزنزانة، لكي تبكي. إلى اليمين، غرف التعذيب. في هذه الغرفة أقامت سهى. وهذه الساحة في المنتصف، حيث ذهبت الأصوات إلى حيث تذهب. قبل كل شيء، كان المدخل، ويعرف بالبوابة الخارجية. يميناً، غرف المقابلات، حيث ينتهي الوقت قبل أن يبدأ. بعد البوابة، خزان المياه الكبير. وهذا ما زال موجوداً. رُمِّم قبل سنوات. الخارجون في ذلك اليوم، رمموا وجوههم بالشمس. انسحبوا بعد ضجيج الأيام الأولى، إلى بيوت فيها نوافذ، وإلى نوافذ تنام تحتها أسرة وحيدة. مقابل البوابة تماماً، أول المدخل، كانت غرف الجنود. وكان هناك مطبخ تتفرع منه غرف صغيرة. في الجهة الثانية، مكاتب الجلادين والذين يعملون في الأرشيف والتسجيل. واحد، اثنان، ثلاثة، عشرة، عشرون، واحد وخمسون، ألفان وواحد، إلخ. في الداخل، يعدون أصابعهم ويأكلونها بلا ندم. مبانٍ كثيرة بزنازين كثيرة، في الواجهة أيضاً، عمود للتعذيب.

الجليل والجولان خلف المعتقل تماماً. لكن لا نوافذ. ذهبت الزنازين وذهبت الجدران، لكن هل ذهب المعتقل؟ لا نوافذ بعد، وفي دم السهل القريب يمشي النهر الملوث.

مَن يضع النياشين على صدر علي ورفاقه؟

فراس خليفة

سيكون على المُشاهد في كلّ مرّة، وبنفس طراوة الدّمع، أن يستعيد المُشاهد الأولى لتحرير معتقلي الخيام (23 أيار/ مايو 2000) كما لو أنّها تحصل الآن. الأن تماماً. ودون تردّد، يمكن القول إنّ كلّ مشاهد تحرير قرى الجنوب تُوضع مجتمعةً في كفّة مقابل مشهد اللحظات الأولى لتحرير معتقل الخيام في الكفّة الأخرى. عند تلك «الجغرافيا» التي كانت لا تزال مُحاطة بالأسلاك والنار، كان علي ضيا يلتقط صُوراً لـ«التاريخ» من دون أن تصدّق عيناه ما كان يحصل حينها. في تلك اللحظة، شَعَر الرَّجُل «أن صرخات الأسرى المحرّرين بلغت حدود السّماء ووصلت إلى الأرض المحتلّة في فلسطين كما إلى بيروت وكل العالم».

> التقط علي ضيا صورة المعتقل المحرر خنجر شعيب مقبلاً الأرض

كان علي ضيا يلتقط صُوراً لـ«التاريخ» من دون أن تصدّق عيناه ما كان يحصل حينها. في تلك اللحظة، شَعَر الرَّجُل «أن صرخات الأسرى المحرّرين بلغت حدود السّماء ووصلت إلى الأرض المحتلّة في فلسطين كما إلى بيروت وكل العالم».

الصحافي الذي يعمل مراسلاً ومصوّراً لوكالة الصحافة الفرنسية في منطقة مرجعيون منذ مطلع التسعينيّات، كان واحداً من أوائل المصوّرين الذين التقطوا صور المشاهد الأولى لتحرير معتقل الخيام إلى جانب المصوِّرَيْن الآخرَيْن لُطف الله وكرم الله ضاهر اللذين كان لهما «سبق الفضل» في بثّ المشاهد الأولى لدخول المعتقل السابق التي تم تداولها لاحقاً بكثافة. بالنسبة إلى علي ضيا (مواليد 1952)، شكّل تحرير معتقل الخيام قضية شخصيّة ومهنيّة، فضلاً عن كونها قضية وطنية تأتي في سياق تحرير القرى الجنوبية من الاحتلال الإسرائيلي. لا يرجع الرجل بالزمن إلى عام 2000. «ما زالت تلك اللحظات تسكن وجداني وعقلي كأنها حدث متواصل يجري الآن».

مع بدء الإعلان عن تحرير بعض القرى الجنوبية، اتّجهت الأنظار إلى الخيام نظراً إلى رمزية معتقلها. «نحنا دخلنا أولاً مع الأخوين ضاهر ومجموعة من أهالي المعتقلين لم تكن تتجاوز العشرين شخصاً في بادئ الأمر». في المعتقل المحرَّر، كان علي وزملاؤه يشاركون مع الأهالي في تأريخ مشهد يحصل مرة واحدة وأخيرة. «الكل عانق الكل وكلهم بكوا فرحاً». هناك التقط إسرائيلي وشيك». لم يغادر علي ضيا منطقة «الشريط» منذ أن قدم إلى هناك للمرة الأولى عام 1984 كطبيب أسنان ضمن فريق مؤسسة «عامل» في الخيام. لاحقاً تحوّل إلى مهنة الصحافة التي بدأها مراسلاً ومصوراً مع وكالة «رويترز» قبل أن ينتقل إلى الـ«أ ف ب» وعمل إلى جانبها لصالح عدد من المؤسسات الإعلامية والصحافية اللبنانية كـ«السفير» و«الديلي ستار» و«قناة «المستقبل». بعد حرب تموز 2006، أنتج بالتعاون مع زميليه الأخوين ضاهر فيلماً وثائقياً بعنوان «صدور بلا نياشين» حول حادثة قصف إسرائيل للقافلة المدنية الخارجة من ثكنة مرجعيون. ضيا لا يزال يذكر جيداً واحدة من أكثر اللحظات صعوبة وتأثراً، حين التقط الصور الأولى للشهيد هادي نصرالله في مستشفى مرجعيون عام 1997. مَن يضع النياشين على صدور علي ورفاقه؟

مكتبي هو المركز الإعلامي الوحيد تقريباً في المنطقة». يقول ضيا: «كان يهمهم أن يسمعوا منّا بعض التفاصيل وكانوا يتحدثون عن انسحاب إسرائيلي وشيك». لم يغادر علي ضيا منطقة «الشريط» منذ أن قدم إلى هناك للمرة الأولى عام 1984 كطبيب أسنان ضمن فريق مؤسسة «عامل» في الخيام. لاحقاً تحوّل إلى مهنة الصحافة التي بدأها مراسلاً ومصوراً مع وكالة «رويترز» قبل أن ينتقل إلى الـ«أ ف ب» وعمل إلى جانبها لصالح عدد من المؤسسات الإعلامية والصحافية اللبنانية كـ«السفير» و«الديلي ستار» و«قناة «المستقبل». بعد حرب تموز 2006، أنتج بالتعاون مع زميليه الأخوين ضاهر فيلماً وثائقياً بعنوان «صدور بلا نياشين» حول حادثة قصف إسرائيل للقافلة المدنية الخارجة من ثكنة مرجعيون. ضيا لا يزال يذكر جيداً واحدة من أكثر اللحظات صعوبة وتأثراً، حين التقط الصور الأولى للشهيد هادي نصرالله في مستشفى مرجعيون عام 1997. مَن يضع النياشين على صدور علي ورفاقه؟

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 أيار 2019 العدد 3766

صورة وخبر

تعد حلويات «نيشالدا» في شهر رمضان من الأطباق الرئيسية عند الأوزبكيين، الذين يعتقدون أنها تساعد على الهضم، وتحوي فوائد صحية عدة. يُصنع هذا الطبق من جذور نباتات طبيعية تنمو في الجبال (من فصيلة القرنفليات)، تُغلى جيّداً بالماء، وتُخلط مع بياض البيض، ثم يُضاف إليها القطر الطبيعي المستخرَج من الشوندر. (بهتيار عبدكريوف ــ الأناضول)

صورة التقطها جورج سمرجيان عام 1976

صورة التقطها جوزيف براك عام 1989

معرض بانورامي لـ «ذاكرة» مثخنة
تلك حربنا وهؤلاء شهودها

زينب حاوي

في نهاية الشهر الحالي، يسدل الستار على معرض «من ذاكرة للذاكرة» الذي يحتضنه «دار المصوّر» بعدما كان قد دشّن في 18 نيسان (ابريل) في «دار النمر». المعرض الفوتوغرافي، الذي نظمته جمعية «مهرجان الصورة ـ ذاكرة»، بدعم من «دار المصوّر» في الذكرى الـ44 للحرب الأهلية اللبنانية، أراد تكريم مصوّري الحرب الأهلية (1975 ـ 1990)، وإبراز دور الصورة الفوتوغرافية كشاهد على أهوال هذه الحرب، وناقلة ليومياتها، وأيضاً كوثيقة تُحفظ للأجيال التي لم تعايش تلك الفترة المظلمة من تاريخ لبنان. إنّها وثيقة تذكّرنا أيضاً بقذارة الحرب وقساوتها. على غلاف المعرض، اختار المنظّمون صورة جوزيف براك، التي تندرج ضمن الفسحات المضيئة في زمن المتاريس والحروب.

هي صورة أيقونية، للثنائي أنجيلا وهاغوب أبو سفيان، التقطها برّاك عام 1989، عن طريق المصادفة، بينما كان يزور أحد أقاربه. هكذا، طلب من العروسين اللذين كانا يستعدان لدخول منزلهما حينها، أن يقفا بين المتاريس وأكياس الرمل، ليوثق لحظة أمل قبل تجدّد القصف. صورة تناقلتها الوكالات العالمية، وها هي تحطّ على واجهة معرض «من ذاكرة للذاكرة» مع باقي زميلاتها (30 صورة لثلاثين مصوراً). لا شك في أنّ المعرض لاقى رواجاً عالياً، ما دفع المنظّمين إلى تمديد أيامه، ليتسنى لزواره الأجانب واللبنانيين الاطلاع على تلك الحقبة، والتعرّف إلى أبطال الصورة الفوتوغرافية، الأحياء والمتوفين وحتى الشهداء منهم. على سبيل المثال، يكرّم المعرض المصوّر جورج سمرجيان، الذي استشهد عام 1990، إبان تغطيته «حرب الإلغاء» في منطقة انطلياس من خلال صورة التقطها الراحل عام 1976، تظهر كيف طردت ميليشيات اليمين المسيحي بعض سكان «حي النبعة» (ضاحية بيروت الشرقية). كما يكرّم المعرض المصوّر خليل دهيني، الذي استشهد عام 1989، عندما أصيب بطلق ناري على محور الشياح ـ عين الرمانة. الصورة المكرّمة، ربما تكون من أشهر صور الحرب، حيث امرأة تبكي من هول الصدمة عام 1986، بعد انفجار سيارة مفخخة في «بيروت الغربية». 30 صورة فوتوغرافية لثلاثين مصوّراً شاركوا في المعرض، لتوكيد رفض الحرب والعنف الأهلي، عبر مساحات بصرية، باللونين الأبيض والأسود، أرّخت لمعاناة اللبنانيين إبان الحرب، ولغة المعابر، وانتظار هدوء الجبهات لاجتيازها، وتأمين قوتهم، الى جانب توثيق الفظائع التي حلت بهم. في الصور، أيضاً، مساحات من الأمل، سرقتها عدسات المصورين، لتخرق المشهدية المظلمة لبيروت وضواحيها. على سبيل المثال، الصورة التي التقطها علي محمد، بين منطقتي الشياح وعين الرمانة، تعود لعائلة ارتأى صغارها الخروج الى شرفة المنزل بعدما أرغمتهم الحرب لوقت طويل على التزام غرف المنزل الداخلية. في الصورة فرح بادٍ على وجوه الأولاد، وهم يقفون على الشرفة، التي تعبق برائحة البارود، لا برائحة هواء نظيف.

«من ذاكرة للذاكرة»: حتى نهاية أيار (مايو) ـ «دار المصوّر» (الوردية ـ الحمرا) ـ للاستعلام: 01/373347

«سهرية وحكاية»
عودة إلى أيام زمان

في إطار الأنشطة الرمضانية المنوّعة التي تشهدها العاصمة اللبنانية، تحتضن «دار النمر للفن والثقافة» يوم الأربعاء المقبل أمسية مميّزة، تتشارك تنظيمها مع «جمعية السبيل» و«مؤسسة التعاون ـ لبنان» وبلدية بيروت. إنّها سهرة مليئة بالحكايات التي ستأخذ الحاضرين في رحلة إلى أيام زمان التي نفتقدها اليوم، كما أنّها فرصة للابتعاد عن السرعة والضغط والتوتر، مع الحكواتيين: خالد نعنع، وسليم السوسي، ورجاء بشارة (الصورة).

«سهرية وحكاية»: الأربعاء 29 أيار (مايو) الحالي ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «دار النمر للفن والثقافة» (شارع أميركا ـ كليمنصو ـ بيروت). الدعوة عامة. للاستعلام: 01/667701 أو Bachoura.Library@Assabil.com

الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 25 أيار 2019 العدد 3766

(غلاف الكتاب)

أبو خليل القباني
دمشق التنوير

خليل صويلح

لم يكن هوس أبي خليل القباني (1833– 1903) بتأصيل مسرح عربي نزوة عابرة، بقدر ما كان فعلاً تنويرياً في مواجهة حقبة مظلمة أرخت بثقلها على المشرق العربي طوال فترة الاحتلال العثماني، ما جعله يدفع فاتورة باهظة جرّاء مواقفه المتمرّدة، إذ طارده الظلاميون طويلاً، بإحراق مسرحه في دمشق، ما اضطره إلى اللجوء إلى القاهرة وبيروت لاستكمال حلمه المسرحي، قبل أن يعود إلى دمشق محطّماً، ويدفن فيها، بعد سنة واحدة من موت تنويري آخر هو عبد الرحمن الكواكبي مسموماً في القاهرة.

ربما كان القباني محظوظاً بدعم وتشجيع الوالي العثماني مدحت باشا حينذاك. إلا أن هذه الفترة كانت خاطفة مقارنة بالمصائب اللاحقة التي واجهته مع ولاة آخرين تعاضدوا مع شكاوى شيوخ دين جَهَلة اتهموا صاحب «يا مال الشام» بتصدير البدع واقتحام المحرّم. في كتابه «وقائع مسرح أبي خليل القباني في دمشق» (دار المتوسط)، يزيح تيسير خلف الستارة عن صفحات مطوية ومجهولة من حياة هذا المسرحي الرائد خلال الفترة ما بين 1873 – 1883، التي مثّلت مخاضاً للنهضة الثقافية والفنية والفكرية في بلاد الشام. وهذه السنوات العشر تمثل أيضاً الجانب المجهول تماماً من سيرة هذا المبدع الاستثنائي، بالاعتماد على الوثائق العثمانية والبريطانية والفرنسية والأميركية والأرشيف الصحافي للقرن التاسع عشر. بدأت علاقة الباحث السوري بتراث أبي خليل القباني حين اكتشف وثائق نادرة عن رحلة مجهولة قام بها القباني إلى شيكاغو (1893)، والملابسات والمصاعب التي صادفته أثناء وبعد العروض التي قدّمها هناك. وها هو ينبش في أوراق أخرى تنطوي على أهمية فائقة في إضاءة المرحلة الدمشقية من نشاط القباني المسرحي ومساهمته في إطلاق «دار المسرح العربي» في مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر، مدعّمة بالوثائق والصور والرسائل والبرقيات والصحف والدوريات، بالإضافة إلى جدول بأسماء مسرحيات أبي خليل القباني وفقاً لتسلسل سنوات عرضها، كما وردت في الكتاب السنوي لولاية سوريا (سالنامة). يرصد الكتاب نشأة القباني وخصائص مسرحه وتأثيره في ترسيخ هوية عربية، جنباً إلى جنب مع التحوّلات التاريخية التي شهدتها المنطقة في الفترة ذاتها، بالاتكاء على مذكرات رحّالة ومستشرقين تكشف عن حركات تمرّد ضد الإمبراطورية العثمانية، «فاللغة العربية الفصحى، والمواضيع المقتبسة من التراث العربي، في مسرح القبّاني، هما اللذان خلقا الإحساس العميق بالهوية العربية لدى الجمهور الدمشقي، حتّى وإن كانت مضامين بعض المسرحيات تتحدّث عن أمير فارسي، وملك هندي ومعشوقة صينية. وربّما يُفسّر ذلك تجذّر الأفكار القومية العربية في دمشق، منذ مطلع القرن العشرين» يقول. مرّة أخرى سنكرّر النداء بأن بيت أبي خليل القباني في دمشق، قد تحوّل إلى مكب للنفايات بقصد استثماره لاحقاً كمطعم، بدلاً من ترميمه وتحويله إلى متحف!

ملف

السودان أرض الأساطير... والأحلام الثورية

السودان، بلد الأساطير، بلد التعدد. عجينة عجيبة «وثنية ومسيحية وصوفية» حسب تعبير الفنان السوداني حسين جمعان: «ماعون تختلط فيه العناصر: الروح الإسلامية العربية المتأصلة في خطوط كتبه المورّقة ومساحات الألوان الزاهية الساخنة المجردة ورايات حلقات الذكر، والنمط الإفريقي بنحوته الخشبية وطبوله وغاباته ومعتقدات قبائله، والعهد المسيحي بمفرداته... كل هذه الروافد استوعبها الماعون وصهرها في شكل من الأشكال الجديدة». كان وصول الإسلاميين إلى السلطة برداء عسكري على مدى ثلاثين عاماً، إيذاناً بقتل هذا التعدد، تلك الميزة التي وسمت ذلك المجتمع القارئ، وهو ما تنبأ به مبكراً الروائي السوداني الراحل الطيب صالح عندما كتب مقالته الشهيرة: «من أين يأتي هؤلاء؟».

هؤلاء الذين حجبوا سماء السودان الصافية بالأكاذيب، أصحاب الكلام الميت في بلد حي. هؤلاء تحولت الخرطوم على أيديهم من مدينة جميلة إلى «طفلة يُنيمونها عُنوةً ويغلقون عليها الباب، تنام منذ العاشرة، تنام باكية في ثيابها البالية، لا حركة في الطرقات، لا أضواء من نوافذ البيوت، لا فرح في القلوب، لا ضحك في الحناجر، لا ماء، لا خُبز، لا سُكّر، لا بنزين، لا دواء، الأمن مستتب كما يهدأ الموتى» على حد تعبير صاحب «موسم الهجرة إلى الشمال».

كان النظام الذي عرف بـ «الإنقاذ» في حاجة للرحيل من أجل إنقاذ ما تبقى في البلد الجميل... ضد كل هذا ثار الشعب، الصامد والساكت لسنوات طويلة، بعدما قدّم كل ما يستطيع: آلاف من اللاجئين، وآلاف من المساجين، والضحايا... وبلد ملكوم تم تقسيمه عنوةً. لكن هل ستنجح الثورة في السودان؟ أم سيكون مصيرها مثل مصير شقيقاتها في العالم العربي الملكوم؟

بالتأكيد، ليس بإمكاننا الإجابة أو التوقع، بخاصة مع تكالب قوى اليمين في المنطقة لقتل الثورة، كما أن الغرب قد لا يسمح بأن تكون هناك بقعة مضيئة في المنطقة تعرف ديمقراطية حقيقية، فرهان الغرب الدائم أن الكيان الصهيوني ينبغي أن يكون هو «البقعة المضيئة في المنطقة».

لكن ثمة شواهد عديدة قد تشي بالأمل. صمود الشعب لشهور متواصلة، هاتفاً من أجل الحرية والعدالة، خبرة شعوب الثورات الفاشلة، وقد خبرت جيداً ألعاب الثورة المضادة، وأخيراً معرفة الشعب نفسه بالثورات، إذ مرت على السودان قبلاً ثورات عديدة مجهضة بالطبع. وأخيراً الثمن الفادح الذي دفعه الشعب حتى وصل إلى ما هو عليه، ولم يبق ما يخسره. لكن سواء نجحت الثورة وحققت ما قامت من أجله، أو بعضه، أو فشلت، فإن أي سلطة سوف تعيد حساباتها مرات ومرات، واضعة صوت الشعب في معادل الحكم.

هنا شهادات من داخل السودان، ومن خارجه حول ما جرى وما يجري، أسئلة حول المستقبل، وما يحمله من مفاجآت. شهادات من روائيين وكتّاب تحمل تحية لشعب السودان الثائر دائماً وأبداً.

تقديم وتنسيق **محمد شعير**

دروس في الثورة

«طاولة العشاء» للفنانة السودانية كمالا إسحق (زيت على لوح ـ 120×170 سنتم)

حسام هلالي *

كان ليصير عيد ميلاد عادياً لولا أنها كانت 2011. كنتُ أعمل مع مجموعة من الفنانين المصريين على عرض مسرحي وثائقي «دروس في الثورة» داخل مبنى «معهد غوته» في وسط القاهرة، عندما قررنا الاحتفال على سطح المبنى المطل على ميدان التحرير بعيد ميلاد زميلنا البلجيكي روود جيلينس. قرر المعتصمون فجأة إطلاق الألعاب النارية من قلب الميدان، مما حوّل مناسبتنا الخاصة إلى ما يشبه العيد القومي. كنا لا نزال ممتلئين بتفاؤل المراحل الانتقالية، فيما كنت أخفي بين زملائي السعداء خيبة قررت معها التخلص من أيّ أمل حيال المشهد السياسي في السودان، بلدي الأصلي. فقد كان عيد ميلاد روود في التاسع من (تموز) يوليو، اليوم الذي أعلن فيه استقلال جمهورية جنوب السودان.

لم أزر الجنوب في حياتي. وعندما تجمّدت حياتنا أمام التلفزيون في يوليو أيضاً عام 2005 بسبب سقوط طائرة الدكتور جون قرنق (نائب رئيس الجمهورية ورئيس حكومة الجنوب في الفترة الانتقالية)، كنت لا أزال واحداً من المغتربين السودانيين الذين يمتلكون هوساً وحنيناً لسودان جديد. لكنّ شيئاً ما تغيّر داخلي حيال العلاقة مع فكرة الوطن التي كانت متمثّلة بشكل أكبر لدي في شكل الخارطة أكثر من كونها علاقة حواس وذاكرة. وخلال حياتي في القاهرة، تعمّقت علاقتي مع مختلف السودانيين في بلد كان يصل إليه لاجئون من شمال السودان وغربه وجنوبه، ولم يبخل عليّ بأن أشهد دماء السودانيين وهي تُهدر بعيداً عن المكان الذي هربوا من الموت فيه إلى موت آخر ذليل ومغترب. عندما قرّرت قوات الأمن المصرية مهاجمة اعتصام اللاجئين السودانيين في ميدان مصطفى محمود ليلة رأس السنة التالية لوفاة قرنق، ولأنني كنت ابناً لناشط شيوعي هارب منذ أيام جعفري نميري، كانت هناك دائماً إجابة واحدة لكل الكوارث التي أحيقت بالسودانيين: عمر البشير.

زرت السودان مرات عدة خلال فترة السلام التي شاع فيها أمل كاذب بالاستقرار والانتعاش الاقتصادي وبالطبع الوحدة، فيما اقتصرت سياسات الحركة الشعبية في عهد سلفاكير على استنساخ نموذج شريكها ـ حزب المؤتمر الوطني ـ باستثناء خطابه الديني. وبدلاً من أن ينال الجنوبيون أخيراً فرصتهم للتخلص من حكم البشير واضطهاد الشمال، حصلوا فقط على نسخة محلية جديدة من الحكم السابق.

كل هذا جعلني أتمسّك بالحلم المصري في لحظة 2011، متذرّعاً بالسنوات العشر التي كنت قد عشتها في القاهرة كطالب وفنان مبتدئ وكاتب، وما لقيته من احتواء عزز لدي انتماءً بديلاً لثقافة مألوفة تشربتها تماماً، لكن زيارة واحدة لخرطوم القرن الواحد والعشرين كانت كفيلة بأن تقتل المرء باليأس من أيّ مستقبل زاهر أو حتى اعتيادي. عندما يتذكر أحد الأصدقاء المصريين أنني لست مصرياً تماماً ويسألني بتعالي لحظات النشوة ذاك: لماذا لم تقوموا بثورة في السودان؟ وما يلاحق ذلك مباشرة من ترديد للنكات المستهلكة والصورة النمطية التي لطالما ألحقها العرب بالسودانيين: الكسل... كنت ببساطة أحبط، لأنّ أياً من المصريين الذين عرفتهم لم يكن واعياً بالتاريخ السياسي للامتداد الجغرافي لبلده. «الحديقة الخلفية» كما يسميها السياسيون المصريون بتعالي المستعمِر. لم يسمع أبناء جيلي من المصريين عن انتفاضة أبريل 1985 التي أطاحت بجنرال جاء ليعيش في ضيافة حسني مبارك. بعد انقلاب الجيش عليه مدعوماً بالجماهير الغاضبة، ولو كانوا عرفوا أن تلك الانتفاضة انتهت بفترة انتقالية عززت سيطرة اليمين الإسلامي - والإخوان المسلمين تحديداً - على السلطة، وأنهم هم تحديداً من تخلّص لاحقاً من الديمقراطية بالتحالف مع الجيش، وأن عمر البشير الذي يعرفون اسمه فقط ما هو إلا جنرال إسلامي جمع شبحي المعادلة المصرية في جسم واحد (ثورة الإنقاذ الوطني)، لربما - أقول ربما - كانوا قد أخذوا حذرهم وبعض العبر. بالطبع، لم تكن شوارع الخرطوم هادئة طوال هذه السنوات التي كانت أطراف السودان خلالها تحترق من دون اهتمام بأهوال الحرب والمجاعة. لكن كل الموجات التي عايشتها كان يتم قمعها بقسوة: من حملة إسقاط المؤتمر الوطني في انتخابات 2010 وما صاحبها من انسحاب لمرشح الحركة الشعبية ياسر عرمان في صفقة انفصال الجنوب، مروراً بانتفاضة سبتمبر 2013 الدموية، وحتى العصيان المدني في ديسمبر 2016. ورغم التغيّر البارز في خروج الأجيال الجديدة التي لم تعرف غير عمر البشير رئيساً، والحضور الطاغي للنساء في الموجات الثورية الجديدة، لكنّها كلّها ظلّت لا تبارح الشرارة والإرهاص. ورغم إيماني بما يشكله التراكم من كونه عاملاً أساسياً في التغيير السياسي، إلا أنني صرت منتمياً لجيل مهزوم - رغم شبابه - وأخذت في كل مرة أشهد فيها حراكاً موؤداً أغرق في المزيد من الهزيمة، متخلّصاً من تفاؤل الإرادة مع الاحتفاظ فقط بتشاؤم الرؤية. يعزّز ذلك سطوة خطاب أيديولوجي محافظ وسلطوي لأكثر من ثلاثة عقود، وما ينجم عن ذلك من استنساخ لخطابه ومنظومته القيمية في مختلف شرائح المجتمع لأجيال، ليتحول الرجل السوداني العادي إلى عمر بشير آخر.

حتى عندما قررتُ استغلال ملكَة الكتابة لتخيل مستقبل للسودان بعيداً عن الواقعي، ظلّتْ تخيلاتي أكثر ميلاً للديستوبيا. في كتابي الأخير «أيام الخرطوم الأخيرة»، لم أستطع أن أتخيل ما سيؤول إليه سودان البشير ـ حتى حول مباني القيادة العامة ـ إلا عبر الميليشيات المسلحة لا الجماهير السلمية، وبنهاية مفتوحة للقصة تنبئ بمصير مجهول وقاتم. تذكرني الآن - ونحن في خضم اللحظة - بعبارة الفيلسوف السلوفيني سلافوي جيجيك وهو يستعير المشاهد ما بعد الأبوكاليبسية في أفلام هوليوود: «من السهل تخيّل نهاية العالم – نيزك يدمر كل أشكال الحياة ونحو ذلك – ولكننا لا نستطيع تخيل نهاية الرأسمالية». كذلك، ظل الوضع في مخيلتي: من السهل أن أتخيل نهاية السودان – الذي انهار بالفعل منذ سنوات – لكنني لا أستطيع أبداً تخيل نهاية نظام الإنقاذ.

عندما اندلعت المظاهرات في 19 كانون الأول (ديسمبر) 2018، كان خالي طارق الذي قضى كل حياته في السعودية، قد قرر التقاعد المبكر في الأربعين والعودة ملفوظاً بالظروف الاقتصادية الجديدة إلى السودان. وفي استمالة لحنيني الثوري القديم، أرسل لي في دبي رسالة بالوسم المنتشر #مدن_السودان_تنتفض كأنه يدعوني للقاء أخير. وعندما توفي بعد أسابيع، سافرتُ إلى الخرطوم متأخراً على وداعه. استغللتُ الزيارة وتجولتُ في الخرطوم. شممت رائحة الغاز المسيل للدموع من شوارع جانبية من دون أن أشارك في أي موكب أو مسيرة فيما كانت لا تزال الحياة المتدهورة تحتفظ ببعض المظاهر الاعتيادية. كنتُ أدرك أن أي انتفاضة لا تستطيع أن تشكل ضغطاً سياسياً في الشارع ما لم تتحول المظاهرات المتفرقة فيها إلى اعتصام كبير في موقع حيوي في قلب العاصمة. لكنني لم أمتلك أي شرعية للتفوه بأي اقتراح حيال انتفاضة ناشئة لا تقبل المقارنات بالربيع العربي الذي لم تنجح في الالتحاق به – لحسن الحظ – ولا التوجيهات الخارجية أو النصائح، خصوصاً إذا جاءت من مشاركين في ثورات مهزومة.

مع هذه الأجواء المحفوفة بهواجس الغدر، والعسكر، والثورة المضادة، فنحن لسنا متأكدين بعد حتى من مصير البشير ومكانه، ومؤسسات النظام لا تزال حية وقادرة على البطش وإفشال أي فرحة بانتصار حاسم.

طوال حياتي، لم أرَ تجمهراً لسودانيين عاديين يحتفلون بفرح، اللهم إلا استقبال جون قرنق في الساحة الخضراء في الخرطوم بعد توقيع اتفاقية السلام. الفرحة التي تحولت في أقل من شهر إلى أحداث عنف بعد مقتله. لم يعتد السودانيون على الفرح، لا في المناسبات القومية، ولا في مهرجانات الشوارع، ولم يكن لديهم أي فرق كروية قادرة على الفوز في البطولات الإقليمية أو الدولية. لهذا كان لا بد لي أن أشعر بالتردد والتوجّس وأنا أرقب الآلاف أمام القيادة العامة. ومع تزايد انهمار صور من قبيل احتضان عساكر الجيش، واعتلاء المتظاهرين للمدرعات، والأقباط الذين يحرسون المصلين المسلمين نهار الجمعة، وانفجار حسّ الفكاهة في اللافتات والتعليقات في وسائل التواصل، صرتُ عاجزاً تماماً عن استبعاد مشاهد ميدان التحرير من ذاكرتي، والجرح الذي لم يلتئم بعد، رغم إيماني بالاختلاف الموضوعي والجذري بين المشهد السياسي السوداني ونظيره في الشمال، ومع قراءتي المتواصلة لتعليقات الناشطين المصريين وهم يدلون بدلوهم بشأن الثورة السودانية الوليدة بخطاب إرشادي ووعظي منطلق من هزيمتهم ومتذرع بالحب، من دون معرفة مسبقة بتعقيدات الوضع واختلافه جنوباً. يزداد لديّ النفور والخوف من هذا الأمل الذي يعود إلى وعيي كعدوى سرعان ما تتكرر إصابتي بها من دون أن يكون جهازي المناعي قد أخذ كفايته من الإصابات والتحصينات، وأتذكر، وأنا أرى تذبذب هويتي بين خيبتي المصرية والأمل السوداني، المثل الشهير: «اللي يتحرق من الشوربة ينفخ في الزبادي».

* كاتب ومسرحي من السودان

قلم الظلم مكسور

منصور الصويم *

هذه ثورة مختلفة، تفجرت في الأرياف القصية عن العاصمة وزحفت لاقتلاع النظام المتمركز في الخرطوم بكل جبروته وفساده وغرور رئيسه المخبول، وهي ثورة مختلفة لأن الجيل الذي فجرها هو ذات الجيل الذي كان يراهن على ميوعته واستكانته واستسلامه المتوهم سدنة النظام البائد ومنظروه البائسون. هم أبناء السنوات الثلاثين القاحلة، أعني من ولدوا في ظل نظام البشير ولم يعرفوا أو يعوا غيره، وهم من حاول إعلام النظام وأدواته الثقافية الزائفة غسل أدمغتهم وتدجينهم طوال هذه السنوات، بيد أن ما حققه هذا «الجيل الراكب رأس» أكد أن سيرورة الوعي السوداني الحق مستمرة، وأن «قلم الظلم مكسور» وإن طالت السنوات.

نعم، انتصر الشعب، وذهب البشير بكل طغيانه وتجبّره، لكن هل اكتملت الثورة؟ هل حققت الثورة مراميها النهائية؟ الإجابة بيد الشباب الثائر الذي لا يزال معتصماً أمام القيادة العامة للجيش السوداني، متمترساً بأحقيته في تحقيق النصر كاملاً غير منقوص: كنس كل مظاهر النظام القديم، محاسبة ومحاكم الفاسدين في الأمن والحزب الحاكم البائد، نزع الحكم من العسكريين إلى الأبد وتشكيل مجلس حكم مدني يمثل كل الأطياف السودانية، وقف الحروب الدائرة في أطراف السودان ورد الحقوق لمن ظلموا في دارفور والنيل الأزرق وجبال النوبة وأقاليم السودان الأخرى.

الثورة في السودان لا تزال متّقدة إلى أن تتحقق جميع مطالب الثوار، من ضحوا وناضلوا لأجل بناء سودان جديد، حر وديمقراطي، يتساوى فيه الجميع، لا يخضع لمركزية عرقية أو دينية أو ثقافية.. هذا ما سيتحقق بلا شك طال زمن الاعتصام أم قصر.

على مدى أربعة أشهر متصلة ـ كانون الأول (ديسمبر) 2018 حتى نيسان (أبريل) 2019 ـ قدم الشعب السوداني ملحمة في البطولات والتضحيات وقودها الشباب «الجيل الراكب رأس»، الذي لم ينكسر لكافة أشكال القمع والترهيب التي مارسها النظام البائد لأجل إخماد الثورة وقتلها في مهدها. استشهد المئات من الشباب الثائرين، وأصيب وجرح وعذب الآلاف خلال هذه الأشهر الأربعة، لكن لم يكن من مجال للتراجع أو الانكسار ولا عودة للمربع الأول، بمثلما هتف الثوار مخاطبين الشهداء «يا نجيب حقهم يا نموت مثلهم». وهذا ما تحقق في النهاية، فلا رادّ لإرادة الشعوب ولن يوقفها شيء إن سعت صوب حريتها وصبت لتحقيق مصيرها.

* روائي سوداني يعيش في الخرطوم

«العائلة» لصلاح المر (أكريليك على كانفاس ـ 134×135 سنتم ـ 2014)

ملف

السودان أرض الأساطير... والأحلام الـثورية

العودة إلى الحكايات القديمة

حمور زيادة *

النهر ثار، وأشجار النخيل ما عادت قادرة على الصمت، وجبال التاكا أنهكها القمع فضجت. أما ما تبقى من أشجار الهشاب التي لم تحرقها الحرب، فنزفت هتافها للحرية.

ثلاثون عاماً كانت. ثلاثون عاماً والبلاد التي كانت كبيرة تئن تحت حكم الطاغية.

ثلاثون عاماً والسودانيون يحفظون الحكايات. يتداولونها بينهم. حين تلتقي مسافراً عربياً في مطار فيسالك «كيف البشير؟ يبدو رجلاً وطنياً». تعرف أنّه لا يردد إلا ما يصله من صور عابرة من إعلام لا يعرف كيف هو البشير.

ثلاثون عاماً والسودانيون يحكون ماساتهم للعالم. للعابرين في المطارات، والسائلين في سيارات الأجرة، وباعة السوبرماركت، والصحافيين الفضوليين لمعرفة شيء عن البلد المعزول. يهزون رؤوسهم ولا يصدقون.

سائلي في مطار عربي ونحن ننتظر الترانزيت أصرّ أن البشير بطل. كانت المعادلة عنده بسيطة جداً. «البشير تقف ضده أمريكا». حكيت له، كما يحكي كل السودانيين، ما فعلته بنا سنوات البشير. لكنه هز رأسه وأكد «المهم أنه ضد أمريكا».

لكننا لسنا أمريكا! لماذا يشتم أمريكا ويعتقلنا؟ لماذا يشتم أمريكا ويعذبنا؟ لماذا يشتم أمريكا ويسرقنا؟ هل نبدو من سكان بتسلفانيا؟

ثلاثون عاماً ولم يصدق حكاياتنا إلا قلة في كل العالم.

ولهم عذرهم. فحكاياتنا عجيبة. أغرب من جموح الخيال.

من سيصدقك حين تحكي عن اجتماع حكومي رسمي قُدم فيه طلب للاستعانة بالجن المسلم لاستخراج ثروات باطن الأرض؟

- لا يمكن أن يكون ذلك حقيقياً!

- لكنه حدث.

- عجيب! لكن المهم أنه ضد أمريكا.

حين انهار جسر لم تذهب الريح بعد بصوت البشير، وهو يهتف مفتتحاً له «سنرد على الأعداء بالتنمية... بمزيد من السدود والطرق والجسور».

> **بدباباتهم حاصروا الفن والرواية والقصيد. وبقوانينهم محوا الجمال عنوة حتى من شوارعنا**

لكن الجسر الأخير كان رداً قصيراً لم يبلغ الأعداء. بدأ في الانهيار. فصدر التصريح الرسمي يبرئ الفساد من تهمة تهاوي الجسر. واتهمت الفئران في بيان أنها من أكلت الأساس. هل سنرفض تصديق ذلك؟ ألم يكن فأراً ما هدم سد مأرب؟ فها هي الفئران تأكل جسراً في الخرطوم.

«سيدة الشمس» للمصوّر السوداني فؤاد حمزة ثبت (من أرشيف «استديو المواهب»، السودان ـ 1975)

دوماً حكاياتنا الحكومية مرتبطة بالتراث.

ودوماً نبدو مفرطين في الخيال حين نحكيها.

في ليلة ما، دخلت طائرة مجهولة، عرفنا فيما بعد أنها إسرائيلية، حدود البلاد وقصفت قافلة مهربي سلاح وذهبت موفورة الأمان.

ووزير الدفاع خرج مسرعاً ليطمئن المواطنين أن حدودنا محمية. أما الطائرة المغيرة فهي جبانة كعهد الأعداء. «جاءت ليلاً» كما قال الوزير «وكانت أضواؤها مطفأة، وكنا في صلاة العشاء. لذلك لم يتصدّ لها أحد».

وخرجت المظاهرات المؤيدة للنظام، وتحدت إسرائيل الجبانة، التي تأتي لتقصف بالطائرات ليلاً. وقال مسؤول كبير: «لو كان الإسرائيليون شجعاناً لأتونا نهاراً وقاتلونا على الأرض».

لكنهم لم يأتوا، فعرفنا أنهم جبناء كما قال المسؤول.

ثلاثون عاماً وهذه حياتنا.

ثلاثون عاماً ونساء السودان يتم جلدهن بتهمة ارتداء «بنطلون»، أو رفض تحرش رجل شرطة، أو لأن المتهمة ممتلئة الجسم على ثيابها التي تبرز شيئاً من تفاصيلها.

ثلاثون عاماً ونحن نتعجّب من المحاربة المنظمة للجمال.

بدباباتهم حاصروا الفن والرواية والقصيد. وبقوانينهم محوا الجمال عنوة حتى من شوارعنا.

في تحقيق أجري معي بتهمة نشر الفجور لكتابة قصة، قال لي أحد المحققين: «أنت شاب موهوب. لكن قلمك يحتاج إلى توجيه. دورنا أن نوجهك حتى لا تصبح مثل الطيب صالح»

سألته:

ولماذا لا أصبح مثل الطيب صالح؟

قالي لي إنه عميل لليهود، ترجموا له ليسيئوا لسمعة السودان والإسلام.

ثلاثون عاماً من القبح.

حتى أشجار الخرطوم لم تسلم منهم. حتى بداية التسعينيات، كان نهار الخرطوم القائظ ينكسر بظلال أشجار اللبخ التي تغطي الشوارع منذ نحو مئة عام. وفجأة تقرر قطعها جميعاً. نريد الخرطوم عارية؛ تركوا شوارعها نهباً للحر والغبار. وبعد سنوات، استورد بعض الحكوميين مجموعة من أشجار النخيل الملكي وزرعها في وسط الشوارع. كانت أعمدة بيضاء لا تقي حراً ولا تملك جمال اللبخ بجزعه الذي غضنته العقود الطويلة. يبس النخيل الملكي في مكانه من دون أن يلاحظه أحد.

لذلك لما ثار الشارع، لما هبت المدن كلها تئن وتضج، شهرت سلاح جمالها في وجه قبح النظام.

ثلاثون عاماً من القبح. حاربتها الشوارع بالغناء للوطن وللمحبوبة. بالأنثى الفخورة بأنوثتها وتقف متحدية محاولات وأدها بتهمة الحسن المغري للمهووسين. برسومات الغرافيتي. بالصور الساخرة والنكتة اللاذعة، والهتافات المنغمة الذكية.

وعادت شوارع الخرطوم تمتلئ بالحكايات القديمة.

الحكايات عن مجتمع متعدد، يقبل الآخر، ويحتفي بالجمال.

ثلاثون عاماً، بعدها خرج أقباط السودان لأول مرة يتحدون مع مسلمي البلاد ويقولون هذه بلادنا جميعاً.

أما الجالية الهندية الكبيرة التي تعيش في السودان منذ أكثر من سبعين عاماً، فتلك هي المرة الأولى التي نراهم فيها يخرجون إلى الشوارع هاتفين.

عدنا إلى الحكايات القديمة. عن سودان يحتفي بحقيقته. عن سودان يحب الغناء والرقص. يضحك للنكتة ولا يتلفت خوفاً من «بيوت الأشباح».

بعد ثلاثين عاماً من حكايات القمع، بدأنا نحكي حكاياتنا القديمة مرة أخرى. للعابرين في المطارات، والسائلين في سيارات الأجرة، وباعة السوبرماركت، والصحافيين الفضوليين لمعرفة شيء عن البلد المعزول.

حكاياتنا هذه المرة لا تشكو الغبن. لكنها تتمثل بالحنين لسودان سرقوه منا. وتفيض بآمال لسودان جديد سنبنيه.

* روائي سوداني يقيم في مصر

«يسقط بس!» لا تروي ظمأ التحرر

طارق الطيب *

«يسقط بس» كان هذا هو الشعار السوداني الشهير على مواقع التواصل الاجتماعي، باستخدام هاشتاغ «يسقط بس» جامعاً الحشود افتراضياً وواقعياً للالتفاف حول فكرته، وجميل أن نسمع ببزوغ هاشتاغ جديد عقب إعلان المجلس العسكري تولي إدارة البلاد: «لم تسقط بعد». أتمنى من كل قلبي ووجداني ألا يكون الشعار السوداني الذي ارتفع في كل أرجاء السودان وخارجه كافياً للرضا التام؛ فلا تراجع حتى زوال هذا الصنم العسكري القابع على كبد السودان منذ عقود طويلة.

وأرجو ألا تكون الغاية هي فقط «بس»، فكما رأينا تبدلت السحنة العسكرية بسحنة عسكرية جديدة، كما كتبت بالأمس «الوضع في السودان انتقل من نظام عسكري أحمر إلى نظام عسكري أصفر إلى نظام عسكري بُني. والألوان لا ترمز لأي شيء، لكن النظام العسكري لم يتغير، التشبث بالحكم ما زال قائماً، الوعود تتكرر بالكلمات نفسها واللهجة والحماة نفسها!».

التغيير فقط في الشكل؛ فمن يرجع لكلام البشير في خطبته الأولى للشعب، يرى أنه قالها واقفاً، بينما ابن عوف قال الكلام نفسه وهو جالس على كرسي وثير، وبقيت البذلة العسكرية ذاتها والرمز السلطوي ذاته، وتُليت الشعارات الرنانة ثم القرارات المبدئية التي ظاهرها رحمة وباطنها البقاء إلى ما شاء الله، وحتى بعد ظهور النسخة الثالثة لعبد الفتاح البرهان في «المشهد الثاني»، كان الزي العسكري هو المتصدر للكلام والأمر والقرار؛ فما أشبه الليلة بالبارحة!

الذهنية العسكرية ذهنية صارمة متزمتة، وهي سلطة نظامية تقوم على نهج صريح ذي عُملة وجه منها أمر والآخر طاعة، ولا يوجد لها غير هذه العملة في التعامل مع الآخرين. أما الجماعة الثانية غير الرسمية والمنظمة بجدارة بعد الجيش، هي جماعة التدين السياسي، فمنتظرة دوماً سقوط الضحية وبعدها ستكثر السكاكين! هناك دائماً من يعملون في الخفاء ولهم ترتيباتهم وتنظيمهم للقفز على كرسي السلطة، فأوضاع بلادنا الكارثية لم تكوّن أي كوادر مدنية حرة ليس فيها عدالة حقيقية تسمح بالمحاسبة الشفافة الواضحة. لذلك يقع الديكتاتوريون عند سقوطهم تحت براثن ما يسمّى بالعدالة الدولية والبوليس الجنائي من خارج البلاد.

قالت المصادر فور سقوط البشير إن أميركا ومعها خمس دول أوروبية هي بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وبولندا قد طلبت فوراً عقد جلسة مغلقة، بينما بدت روسيا أكثر تعقّلاً وأعرب متحدث باسم الرئاسة الروسية، بأن ما يجري في السودان هو «شأن داخلي». هذه الدول في حقيقة الأمر لا تبحث عن استقرار السودان من أجل عيون السودان، بل لديها مصالح وأشغال في السودان لو تعطلت لخسرت الكثير مادياً و«هيْمنيّاً» على المدى الطويل.

الحديث عن «اقتلاع» البشير و«وضعه في مكان آمن» يلخص الحال. كلمة اقتلاع ستهدئ النفوس كأنها تضع ثاراً للناس لكنه قد يكون ثاراً وهمياً. أما القوس الثاني من الكلام، فهو يشي

> **كما رأينا تبدلت السحنة العسكرية بسحنة عسكرية جديدة**

بلا شك بوضع السلطة في مكان آمن إلى حين التصرف المناسب. الثورة كانت ستقوم آجلاً أو عاجلاً، لكن الديكتاتور دائماً يعظ وأبداً لا يتعظ.

في حوار لي مع جريدة «الأهرام» قبل أربعة أعوام وثلاثة أشهر بالتحديد، سألني المحاور سؤالين: الأول كان: «كيف تقيم الأوضاع في السودان؟». قلت له حرفياً التالي: «الوضع في السودان مربك ومرتبك منذ سنوات. السودان منعزل برغم التشدق بغير ذلك، ومتشرذم بالقطيعة الجغرافية والقطيعة القبلية، والسلطة التي تحكم لسنوات طويلة وأساسها عسكري يبرز التدين لا الدين، سلطة تضيع منها الحكمة والرشد مقابل التسلط والجبروت العسكري والبوليسي. سلطة تعتقد أن حل جميع المشكلات يكمن في المدفع والدبابة أو السجن ونفي الرأي الآخر». والسؤال الثاني كان: «هل السودان مقبل على التأثر بالثورات العربية؟». وقلت: «بالتأكيد السودان مقبل على ثورة لا بد منها، حتى لو اختلف شكلها عن ثورات الربيع العربي؛ فالشعب مسحوق ممزق والسلطة إذا كانت على دراية فهذه مصيبة، وإذا لم تدر فالمصيبة أعظم. الإصلاحات المطلوبة تحتاج لتغييرات ليس للحكومة الحالية مقدرة على تحقيقها. حين تعتبر السلطة القائمة أن الرأي الآخر مجرد معارضة لا تعمل إلا على إسقاطها، وليس استكمالاً نحو بناء دولة ديمقراطية؛ فهي بهذا تسير لزوال مؤكد حتى بعد الانجرار إلى دائرة العنف.

ما أقوله هنا على سبيل المثال يعتبره البعض منهم عمالة أو خيانة أو تخريباً وليس رأياً يستحق الحوار، وهذه سمة لنهاية مجد جنرالات الدنيا وجنرالات الدين في كل العالم». وأعيد قولي بالأمس: استمر أيها الشعب السوداني النبيل حتى ترضى؛ فلا حُسن نية للثورة مع المتسلطين!

* روائي وشاعر ولد لأب سوداني مهاجر في مصر التي نشأ فيها قبل أن يهاجر إلى النمسا حيث يعيش ويعمل الآن

«حوار عاطفي» للسوداني صلاح العر (أكريليك على كانفاس ـ 90×90 سنتم ـ 2017)

قصص

العالق في يوم أحد (*)

سلفادور دالي ـ «رسوخ الذاكرة» (زيت على قماش، 1931 ـ تفصيل)

عبد الله ناصر **

متوالبات

يعيش في فيلا تُشبه تماماً فيلا جاره، وفيلا جاره تُشبه تماماً الفيلا المجاورة لها، والفلل الثلاث تشبه تماماً فيلا الجار الرابع والخامس والسادس، وحتى نهاية الشارع، والشارع الذي يقابله، والشارع الذي يليه، والشارع الذي يقابل الشارع الذي يليه و...

الأبواب نفسها، والأسوار نفسها، والنوافذ نفسها، والألوان نفسها، والباركيه نفسه و...

ولو عاد في ساعةٍ متأخرة من الليل، مرهقاً أو ثملاً، ولم ينتبه إلى أرقام الفلل، لربما خلط بين بيته وبيت جاره أو أيّ جارٍ آخر. تخيلوا معي لو كانت المفاتيح أيضاً متطابقة، كأن سيدخل بيت ذلك الجار، ولن يلحظ الفرق إن وُجد، فالأثاث نفسه تقريباً، الطاولات، والكراسي، والنباتات الصناعية، والشاشات، والسجاد. ولو شعر بالجوع، سيجد في الثلاجة الأجبان نفسها، والألبان نفسها، والزيتون نفسه، كان قد تبضّع مثل هذه الأطعمة بالضبط قبل يومين.

حتى الصور الشخصية المعلقة على الحائط تكاد تكون متطابقة.

ربما يعود ذلك الجار بعده بدقائق، ويخلط هو الآخر بين بيته وبيت جاره. سينام كلّ منهما في بيت الآخر، بجوار زوجة جاره، وعندما يستيقظان لن تقع كارثة ولا فضيحة، لا، فلن ينتبه أحد على الأرجح، لا الزوج ولا الزوجة ولا حتى الأطفال. سيتناولون بسعادة وجبة الإفطار، ثم ستوصيه الزوجة بينما تناديه يا حبيبي بأن يتعجّل، ليُقِلّ الصغار إلى مدارسهم.

حتى ساعات دالي

تراقبك الساعة، تراقبك طوال الساعة بينما تحسب في الوقت نفسه مرور الوقت. ربما تكون ساعة حائطٍ في محطة انفاق برلين أو ساعة يد معروضة للبيع في واجهة متجرٍ بطوكيو.

تراقبك تلك الساعة عن بعد، عبر سلسلة لا نهائية من الساعات، وتتناقل أخبارك بصوتٍ عالٍ مثل ساعة بيغ بن، أو بصوتٍ أشبه بهسيس الساعات الصغيرة.

لا يمكنك تضليل الساعة، حتى عندما تسافر إلى الشرق أو الغرب، فيتقدم التوقيت أو يتأخر. في المطارات مكاتب صرافة للعملات وللوقت أيضاً، التوقيت المحلي يختلف عن الآسيوي عن الأوروبي عن الأميركي الشمالي والجنوبي. يوجد أيضاً مكتب جمارك للوقت، لا يمكنك تهريب ساعةٍ من دبي أو تسع ساعات من نيويورك.

اثنتا عشرة ساعة في النهار ومثلها في الليل. تسهو ساعتك أحياناً أو تركن إلى الراحة، فتغط الثانية ظهراً في قيلولة، لتجد الساعة تشير إلى الثالثة عصراً. هذا ما يجعل بعض الساعات تبدو أقصر أو أطول من ساعاتٍ أخرى.

لعلك لاحظت أن بعض الساعات لا تتجاوز مدتها خمس دقائق، بينما هناك ساعات تمتد إلى أكثر من خمس ساعات. لا يطول الوقت لمجرد أنك تشعر بالحزن، ما هذا الغرور؟ لا شأن لحوارثك بثقل الوقت، ولا علاقة بالطبع لأفراحك بجريانه. لستَ الساعاتي هنا، أنت البطارية، وأسلاك الرمل.

يمكنك الآن أن تخمن لماذا تتعطل فجأةً بعض الساعات. تتوقف أخيراً عن الحركة والمراقبة.

تكاهُل

كان حباً لا يمكن أن نقرأ مثلهُ في الروايات، أو نسمعُ ما يشبههُ في الأغاني. يكفي أن يغيب أحدهما لسويعاتٍ، حتى يشعر الآخر بأنه عجوزٌ أو أرمل.

كانا لا يفترقان أبداً حتى أثناء النوم، يمشيان معاً يداً بيد في الحلم نفسه، أو يهربان معاً من الكابوس نفسه. وعندما يستيقظ أحدهما فزعاً، يمد يدهُ إلى الآخر، فينتشلهُ من الكابوس. أما في الصباحات التي تعقب الأحلام، فتنهمك المرأةُ بحماسة في سرد حلم الليلة الفائت، كما لو أنهُ لم يكن معها. يترك الرجل الجريدة، وينصتُ إليها باهتمامٍ لا يفتعله، ولكنها تتوقف بغتةً في منتصف الحديث، وتمضي إلى المطبخ.

يصرخ معترضاً: «ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟»، فتجيبه: «تعرف كل شيء». يُنكر وينتظرها لتسرد ما تبقى من الحلم الذي يتذكرهُ جيداً.

شارب فريدا كالو

لم تنجب حتى الآن، ولا يظنها ستنجبُ أبداً.

كانت السنوات الأولى سنوات ترقُّب عظيم. يفرحان كلما تأخرت الدورةُ الشهرية يوماً أو يومين، ويغضبان كلما بكّرت وإن تظاهرا بغير ذلك. في السنة الرابعة، تقبّلا الأمر على مضض. لم يذهبا إلى عيادات الإنجاب. كان هذا رأيه، قال بوضوح إن هذه الفحوصات سوف تهدم الذي بينهما إن عاجلاً أو آجلاً. لا، لم يذهب وحده إلى الطبيب، لا تأخذكم الظنون، ولم تذهب هي أيضاً وإن كانت قد حجزت موعداً، وتخلفت عنه في اللحظة الأخيرة.

كان عندهما في الحقيقة بصيصُ من الأمل حتى السنة السابعة. قال في سريرته وهو يتأملها: «إنه القدر، وعندما تصل الأمور إلى هذا الحد، من الأفضل أن يذعن المرء راضياً».

قالت في سريرتها وهي تتأمله: «إنه القدر، ولو سخط المرء وخبط الأرض باقدامه كالأطفال، سيذعن أيضاً».

كانا مثل سائر الأزواج يتخاصمان على الأمور الصغيرة أكثر من الكبيرة، والخصام أمرٌ صحّي بل ضرورةٌ حياتية. وكانت في البيت غرفةٌ خاصة للخصام، ينعزل فيها أحدهما عندما تتعقد الأمور، فلا يخرج قبل أن يعتذر الآخر.

حمل الزوج وسادته وفراشه دون أن يتخاصما هذه المرة، ومضى إلى تلك الغرفة، ولو تأخر قليلاً لسبقته الزوجةُ إليها لأنها كانت تنوي فعل الأمر نفسه.

لم يحدث شيء تقريباً لولا أن شعره أخذ يتساقط، شعر الجسد لا الرأس، لأن شعر الرأس كان ينمو بغزارة حتى انحدر على كتفيه في الوقت الذي راح جسده يتحول تدريجياً إلى جسدٍ أمرد. استدار صدره العريض، وصارت أثداؤه تندفع شيئاً فشيئاً إلى الأمام، حتى صار يخفيها تحت قمصانه الواسعة. وصغُر ما بين فخذيه إلى أن استيقظ في أحد الأيام فلم يجده.

كانت أياماً عصيبةً عليه وعليها أيضاً. اخشوشن صوتها، وجفت حلماتها، حتى صارت مثل الزبيب. وتسطحت مؤخرتها المستديرة، فصارت كالمقلاة، وظهر عندها ما افتقده زوجها، وبدأ يكبر يوماً تلو الآخر. ما زال في غرفته وما زالت في غرفتها. يخرجان فقط ليتناولا الطعام معاً، ولكن بصمت. كلما سقطت شعرةٌ من شاربه نبتت تحت أنفها، حتى صار لها شارب فريدا كالو، وصار الأمر في منتهى الوضوح. ارتدت قميصهُ الأزرق، فناسب مقاسها الجديد، وعندما وقف أمام المرآة ليجرب بيجاماتها الوردية، بدا مثل طائر الفلامينغو حتى إنه وقف لدقائق على ساقٍ واحدة. عادا للنوم معاً، ولترقبّ الدورة الشهرية مثلما كان الأمر في السنوات الأولى، بل وأكثر.

عبد الله ناصر

أشبه كثيراً عبد الله ناصر، وهذا ما يجعل الناس يخلطون بيننا طوال الوقت، حتى الأصدقاء للأسف. أصدقائي وأصدقاؤه. فاضطر عبثاً إلى التأكيد على أنني أطول منه قليلاً وأنه أسمن مني، صحيح أنه أكثر وسامة، لكن في المقابل أنا أذكى منه بكثير، وإذا كنت أكذب، فلكي أبدو لطيفاً فقط، بينما هو يكذب ليخلص نفسه من ورطةٍ أو مأزق. هناك فرق. حتى لهجاتنا تختلف، وطريقتنا في المشي والضحك، و... ولكنهم يقاطعون حديثي دائماً: «لماذا أقفلت هاتفك؟» أو «لا تتأخر الليلة».

الأسوأ من ذلك عندما التقي به في الشارع أو في المطعم. يبدو الشبه صاعقاً، أشك أن تعرف المرأة أو الكاميرا فروقاتنا الصغيرة، أشك أن تعرفها زوجتي أو حتى زوجته. أظنه يخلط أيضاً بيننا، لأنني بصراحة أخلط في بعض الأحيان بيني وبينه. كنت قد حذرته في لقائنا الأخير: «عليك أن تغادر المدينة في أسرع وقت، أو فلتنتقل على الأقل إلى حيٍّ آخر، أو في أسوأ الأحوال أن تتوقف عن العيش معي في البيت نفسه».

نقش.. كتابة

لم تنجبا الأمثال لكنها ربّتهُ صغيراً فاحسنتْ تربيته، وحين يدعو لوالديه بالرحمة، لا ينسى أن يدعو للأمثال أيضاً لأنها الأم التي لا تغضب، والأب الذي لا يضرب. أقصى ما يمكنها فعله هو أن تشدّ أذنه بمثل قديم يلومه ويحذّره من تكرار الخطأ ولا شيء غير ذلك.

كانت الأمثال في سنوات المراهقة تُسيّر حياته بطريقةٍ جيدة، بل ورائعة، حتى زادت بشكلٍ مهول حصيلته منها وصار لديه المثل ونقيضه، فما عاد يدري أيهما الصواب وأيهما الخطأ. أخذت الأمثال تتنازعه مثل الملائكة والشياطين، يشد المثل ذراعه الأيمن، ويجذبه في الوقت نفسه مثلٌ آخر من اليسار، حتى كادت تتمزق ثيابه وعضلاته.

تمنى لو يسكّ كلّ مثلٍ ونقيضه في قطعةٍ نقدية، وحين تدعوه الحاجة، يقذفها بإبهامه في الهواء ويتلقفها براحة يده، فيظهر النقش أو الكتابة، لكن نقد النقود في النهاية مسألة حظ.

بدت الأمثال مثل الأعشاب، فيها النافع والضار. تساءل، ماذا لو نقعها في الماء، واستخلص منها ما يريد، ثم خلطها بأمثالٍ أخرى ليصنع أمثالاً جديدة؟ لو نجح سيغدو أول من يمتلك «دليل استخدام الحياة».

الآخر

يخاف المرآة، يخاف أن تعكس صورة رجلٍ لم يلتقِ به من قبل، فيحدّق به طويلاً ذلك الرجل، ولا يتزحزح عن مكانه حتى عندما يغادر الغرفة.

يخاف أيضاً ألا تعكس المرآة صورته، أن يظهر كل مَنْ في المكان إلّا هو، ينزلق إلى الجانب الآخر من المرآة، الجانب الرصاصي اللصيق بالجدار، حيث يتراكم الغبار فوق صورنا القديمة.

يُنزل المرآة، ويجعل وجهها إلى الجدار، لم يكن على الإنسان أن يخترع شيئاً مدمّراً كهذا. لو شاء الرب أن نحدّق في وجوهنا طوال الوقت، لجعل أعيننا في باطن أيدينا. يتساءل: أليس الإنسان مرآة الإنسان؟

يخاف المرآة إلى درجةٍ لم يعد يتوقف أمامها حتى عندما يغسل أسنانه، أو يحلق ذقنه، خصوصاً عندما يحلق ذقنه. يخاف، وفي يده موسى الحلاقة، أن يلتقي بالرجل الذي خرّب حياته.

بطاقة تبزم

تصلبت أعضاؤها من اليأس، واحداً تلو الآخر، حتى بات من الممكن التبرع بها إلى التماثيل المقطوعة.

منامات الجندي

طاف في المتجر فاستوقفه البائع بلطف، وسأله عن مواصفات الساق التي يرغب في اقتنائها. هل تريد ساقاً للعدو أم للرقص؟ للعدو. هل تخطط للهرب أم ثمة من تنوي مطاردته؟ مازحهُ البائع. في الحالتين، هذه الساق المعلّقة تفي بالغرض. يربّت عليها. العضلة مثالية، والسعر كذلك. يمكنها أن تجري لساعتين بلا توقف. ما رأيك؟ أم تراك تبحث عن ساقٍ عَدّاء؟ الساق الأفريقية هي الأسرع في العالم، والأغلى في السوق بطبيعة الحال. لو شاركت بها في الأولمبياد، لربما ربحت إحدى الميداليات. انظر ما أروعها، هذه الساق لا تتشنج أبداً حتى في الكوابيس. سبق وجرّبتُها في الحديقة المجاورة. بدتْ سريعةً جداً، بل أسرع مما يجب. كدتُ أن أدهس أحد الأطفال لو لم تتدخل أمه في اللحظة الأخيرة. ظللتُ أعدو فلم تلحقني شتائمها ولم أتوقف حتى اختفت المدينة. يضحك. إذا لم يناسبك لونها الداكن يمكننا طلاؤها. سيكلفك هذا قليلاً من المال. لا بأس بهذا اللون، أكد الرجل. هل تريد قدماً أيضاً؟ ربما ترغب في إلقاء نظرة على المجموعة الجديدة. لن أخفي عليك، إذا كانت قدمك مسطحة، فلن تجري ساقك الجديدة كما يجب. أرني قدمك، تبدو جيدة. على أي حال، هناك خصومات على بعض الأقدام إن أحببت. غرفة القياس في الخلف، يشير إليها البائع، ويمضي لخدمة جندي آخر يحلم بدخول المتجر نفسه.

(*) مختارات من مجموعة قصصية بالعنوان نفسه صدرت حديثاً عن «دار التنوير» (بيروت/ القاهرة/ تونس ـ 2019)

** (السعودية)

قصيدة

بيوغرافيا

امارجي *

من ارتطام البحيرة باللّيل
وُلِدتُ

نجمةٌ شكّلتْ قحفي، ونجمةٌ حشفتي

القمرُ التحمَ بسرّتي
وحين تيبّستُ وسقطتُ
تيبّسَ وسقطَ معها –

(غرابٌ رماديٌّ أكلَ القمرَ في سرّتي وسرّتي في القمر)

بصعوبةٍ سحبوا شراييني من جذور النّيلوفرات
وفكّوا أعصابي من خيوط الطّحالب
وفَصَلُوا جلدي عن لحاءِ الثّغت وقشرةِ الصّفصاف

دفعةً واحدةً،
من قيعان الصُّخور المتورّقة وأبراج الثّخليق
شُدَّتْ عظامي
ولُمِّعَتْ
في وجه نجم الشّمال

من أزهار الجُمَّيْزةِ المرتجفةِ قربَ ولادتي
جيءَ لي بزغبٍ طريٍّ وأهداب

لي عينٌ تنظر عبرَ طاسةِ نرجس
وعينٌ عبرَ مرجلٍ زُحَل – من نظرتي أسيلُ على الأشياء
وأبلأ من النّدى والنُّشادر

كُوِيكبٌ قَدَحَ حصاةً فكان فمي
نقّارُ خشبٍ نقرَ كوكبةً معملِ النّحّات فكان لساني
مجرّةٌ صَدَفيّةٌ غلّفتْ حلزوناً فكانت حنجرتي

وُضِعْتُ لهباً أبيضَ في عشبٍ أسود

غُذّيتُ
من حوصلةِ قنبرةِ ماءٍ في أوّلِ الغسقِ الهاطل
من حوصلةِ دربِ التّبّانة

بغبار الأجناس الزّائلة وغبار ما بين المجرّات دُسْمتُ

اجتازت نُخُعي
بلاشينٌ وشُهَبٌ وشراغيفُ وأغبرةُ طلعِ وقشعريرةُ

الغاباتِ الصّنوبريّةِ الشّماليّة

أزهارُ الجيرانيوم هَشْهَشَتْ تحت جلدي

وبأنينٍ حديديٍّ
ردّتْ عليها
قرائنُها النّجميّة

كزبرةُ البئر خرجَتْ من أذنيَّ
ونثرتْ أبواغَها
في اتّجاه الرّياح

فيما ساخناً كان ينفتحُ بين صدغيَّ
وينفرطُ عنقودٌ نجميٌّ مغلّق

حين نهضتُ لأمشي
اقتُلِعتُ معي أبصالُ الفصيلة السّوسنيّة كلّها
وجرّتْ ورائي
غيوماً وحدائقَ، أشرعةً وحزازيّات

وحين فتحتُ فمي لأنطق
فرّتْ آلاف الزّرازير من قصباتي الهوائيّة
آخذةً بمناقيرها
صوبَ أرخبيلاتٍ شاحبةٍ ميّتةِ الأشجار
كلَّ الكلمات
التي أبداً لن أصرخ بها

(الكلماتُ التي سأصرخ بها ستكون دائماً كلماتٍ أخرى)

ساصرخُ من جوفِ البذرةِ والبرعمِ والنُّطفةِ
والرَّحمِ والمِنبرِ والميسمِ والسُّداةِ والمدقّةِ
والبُنيّضةِ وكبريتيدِ الزّئبق
بكلِّ الامِ انتفاخِ العنصر

يكفي لأجل ذلك أن أصرخ من جوف قلبي
الذي هو قلبُ الأشياء
المُبيِّضُ المدوَّخُ لوردةِ الرّياح
كيسُ الكونِ البَوْغيُّ
الذي ينتفخ بهدوءٍ داخلَ شقٍّ في بطانةِ اللّيل
ويوماً ما سينفجرُ ملقّحاً كلَّ شيء

حينئذٍ،
أعودُ مع غبار الأربوسةِ الغسقيّة
مع البخار الخفيف لأنفاسٍ وعلٍ أحمرَ مُحتَضَر
مع النّداء المُوحش لتفلقٍ مائيٍّ مُستَوحدٍ
إلى طبقةِ الضّباب الرّقيق
التي بالكاد تصدُّ جلدَ اللّيل عن جلدِ البحيرة.

* اللاذقيّة – سوريا

إيتيك عدنان ـ «زهور I» (ألوان مائية على ورق، 1989)

أوراق

اليهود والجمل

زكريا محمد *

تحدثنا في المادة السابقة عن الخلاف الايديولوجي بشأن جبريل وميكائيل بين اليهود والمسلمين. أما الآن، فنعرض لمسألة خلافية أخرى تتعلق بالجمل. من الواضح أنَّ اليهودية على علاقة بالجمل. من أجل هذا، فاليهود لا يأكلون لحم هذا الحيوان: «ومنها: استباحة لحم الجمل، فإنه محرم عندهم، ومَن استباحه، فقد ارتكب محظوراً عظيماً عندهم» (القلقشندي، صبح الأعشى). وقد افترض ثيوفان Theophane في تاريخه أنَّ العلاقة بين اليهود والنبي محمد كانت طيبة، ثم تدهورت حين اكتشفوا أنَّ المسلمين يأكلون لحم الجمل:

«عندما بدأ محمد دعوته، ظل اليهود معتقدين أنه المسيح فاتّبعه بعض القادة منهم تاركين ديانة موسى الذي كان يعرف الله. وقد كانوا عشرة رافقوه طيلة حياته، لكنهم حينما رأوه يحلل لحم الجمل، عرفوا أنه ليس هو الرجل الذي كانوا ينتظرون» (1).

إذن، فما يحدد إن كانت نبوة ما قريبة من اليهودية إنما هو الموقف من الجمل. طبعاً، وعلى عكس ما يعتقد ثيوفان، فلا بدَّ أن اليهود كانوا، منذ البدء، يعرفون أن المسلمين يأكلون لحم الجمل. أي أنه لم يكن اكتشافاً بالنسبة لهم. ومن هذه الزاوية، فخبر ثيوفان لا أهمية له. أهميته تكمن في تأكيد فرق أيديولوجي مهم بين المسلمين واليهود. وقد أوردت المصادر العربية نتفاً من الجدل الذي دار بين المسلمين واليهود في يثرب حول لحم الجمل مما يؤكد خبر ثيوفان. فقد جادل اليهود بأن إبراهيم لم يكن يأكل لحم الجمل، فرد المسلمون أنَّ هذا غير صحيح. فيعقوب هو من حرم أكل الجمل على نفسه لأنه كان يصيبه عرق النسأ، فحرم على نفسه أكل لحم الجمل. والحق أن ما قاله المسلمون هو الأصح. فيعقوب هو الذي على علاقة بالجمل لا إبراهيم. الشرعة الإبراهيمية على علاقة بالخيل والحمير لا الجمال.

اليهود والأرنب

لكن هناك من اعتقد أنَّ اليهود على علاقة بالحمار. فقد ورد عند بلوتارخ أنَّ اليهود يمتنعون عن أكل الأرنب لأنّه يشبه بأذنيه الحمار الذي يعبدونه. والحق أن بني إسرائيل، وليس اليهود، هم من كانوا يقدسون الحمار، والحمار الوحشي خاصة: «قد ابتلع إسرائيل. الآن صاروا بين الأمم كإناء لا مسرّة فيه. لأنهم صعدوا إلى أشور مثل حمار وحشي معتزل بنفسه» (هوشع 8: 8-9). إسرائيل هنا تصعد كحمار وحشي. وهذا ليس تشبيهاً أدبياً، بل حقيقة ميثولوجية. فإسرائيل، الإله إسرائيل، يتجسد في حمار. وأغلب الاستعارات القديمة كانت في الأصل حقائق ميثولوجية. بل يمكن القول إنّ الاستعارات القديمة أساطير متحجرة. ولأن إله بني إسرائيل الموسويين يقدسون الحمار، لذا فليس علينا أن نعجب إن قاد حمار وحشي موسى وجمعه في التيه حتى أوصلهم إلى الماء. كل القصص التوراتية التي توحي بتقديس للحمار تتبع تقليد إسرائيل، وما ينبثق عنه من إبراهيمية وإسماعيلية، لا اليهودية.

أما افتراض أن اليهود يمتنعون عن أكل الأرنب لأنه يشبه الحمار، فافتراض واهم. على العكس، فهم يحرمون أكل لحم الأرنب لعلاقته بالجمل لا بالحمار. يتضح هذا من التحريمات التي أوردها سفر اللاويين:

«وكلم الرب موسى وهرون قائلاً لهما. كلّما بني إسرائيل قائلين هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض. كل ما شق ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون. إلا هذه، فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً، فهو نجس لكم. والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثثها لا تلمسوا إنّها نجسة لكم» (لاويون 11: 1-8).

وهكذا، فالأرنب محرم مثل الجمل تماماً. وكذلك الوبر الذي يشبه الأرنب. وثلاثتها تتشابه في الشفة المشقوقة لا في الأذنين. بالتالي، شق الشفة هو الذي يجمع بين الجمل والأرنب، لا عدم شق الظلف. وفي الميثولوجيا العربية، يتماثل الجمل والوبر أيضاً كما يقول شطر بيت الشاعر: «والفيل والأعلم كالوبرِ». فالفيل معروف، والأعلم: البعير، وبذلك يسمّى، لأنّه أبداً مشقوقُ الشُفةِ العليا (الجاحظ، الحيوان).

وهذه الحيوانات لا تؤكل في الأساس لا لأنها نجسة، بل لأنها مقدسة. لكن مع الزمن بدا كأنّ الامتناع عن أكلها نابع من نجاستها. بهذا المعنى فكل حيوان نجس هو حيوان مقدس في الأصل كما يخبرنا جيمس فريز.

> كلّ حيوان نجس هو حيوان مقدس في الأصل كما يخبرنا جيمس فريز

وعلى كل حال، فشق الشفة علامة الضحك والسرور. يقول المثل البدوي: «الجمل ضحك مره وحده في عمره، انشق شاربه». والحق أن هذا المثل من أمثال الأصول. أي الأمثال والقصص التي تبين الحادثة الأولية القديمة التي أوجدت شيئاً ما لأول مرة. وهنا يجري الحديث عن الحادثة الأولى التي أورثت الجمل شفته العليا المشقوقة. بالتالي، فالضحكة التي شقت شارب الجمل، أي شفته العليا، هي الضحكة الأولى للجمل، وليست الضحكة الوحيدة. بعدما انشقت شفته، ظل يضحك بلا توقف. فشق الشارب أو الشفة هو الضحك أو علامة الضحك. الجمل، ميثولوجيا، حيوان سعيد لا يتوقف عن القرقرة والكركرة. من أجل هذا، فالقرقرة في اللغة هي: الضحك وهي صوت الجمل في آن واحد. وقد بينّا هذا أثناء حديثنا عن الشخصية العربية الأسطورية «سعد القرقرة». وسعد هذا ذو طابع إلهي. وهو إله- جمل ضاحك.

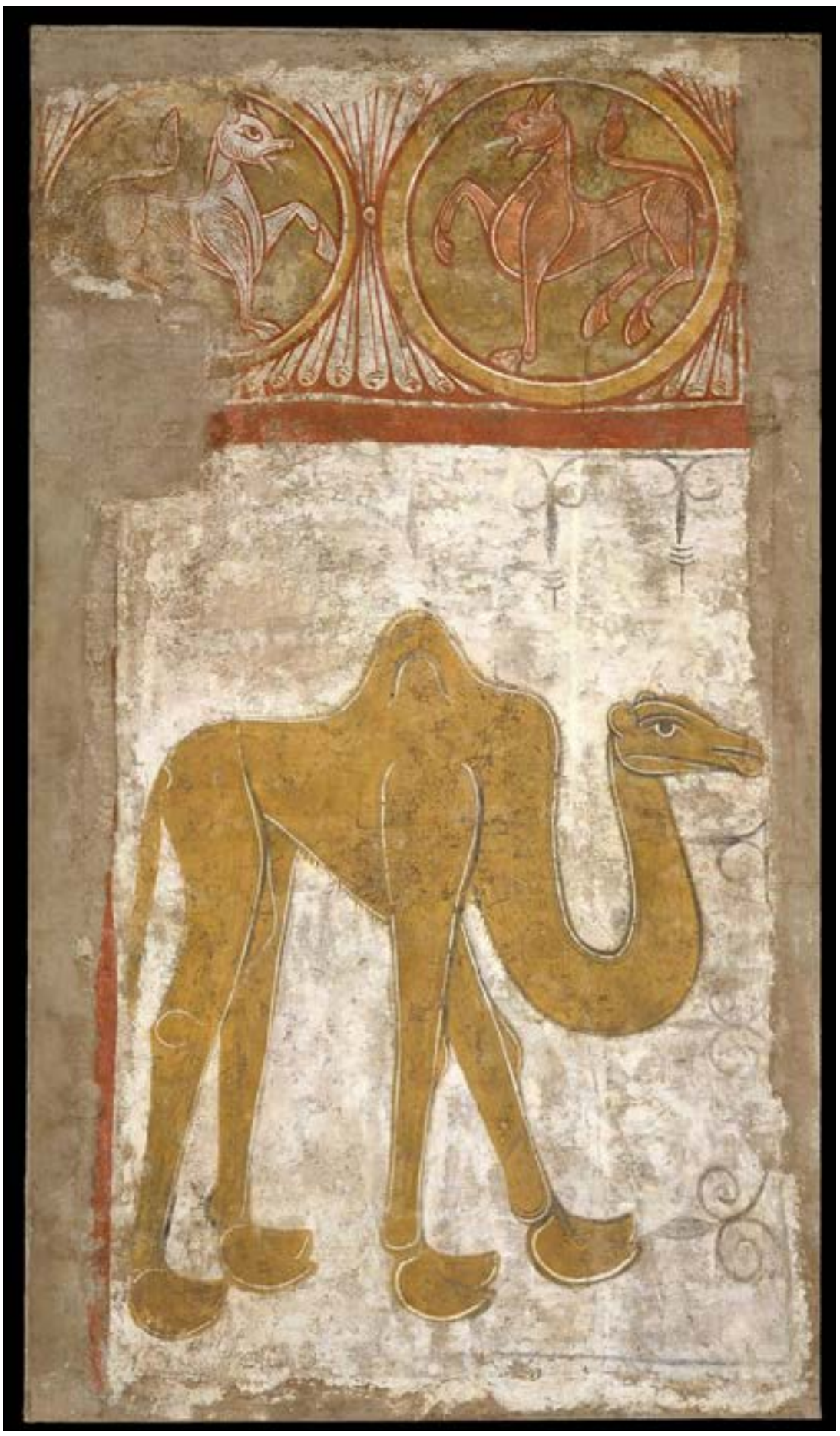

رسم لجمل داخل كنيسة «سان بوديليو دي بيرلانغا» في بلدة كلتوخار الإسبانية، يعود إلى النصف الاول من القرن الثاني عشر

داود الجمل

أكثر من هذا، يبدو أن «داود» كان إلهاً- جملاً. ويعتقد أن اسم «داود» من الجذر «ودد» بمعنى أحب. لكنني أعتقد أنه من جذر «دود» الذي هو عديل لجذر «ذود». العربي الذي على علاقة بالإبل: «الذَّوْدُ: للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع... وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: ليس فيما دون خمس ذَوْدٍ من الإبل صدقة» (لسان العرب). وإذا كان «داود» جملاً، فهذا يعني أنه شبيه سهيل اليماني الإله- النجم الذي يدعى «بالفحل» أي الجمل الذكر. كما يعني أن نجمته، نجمة داود، هي نجمة سهيل اليماني ذاتها.

والحق أنَّ بعض الخرافات البدوية العربية ما زالت تربط بين اليهود والجمل: «لدى بدو الجزيرة العربية أسطورة غريبة عن أصل الجمل. فهم يرون أنَّ اليهود هم من امتلك الجمل في الماضي لا البدو. وتقول الأسطورة إنَّ اليهود كانوا يعيشون في جبال الحجاز، بينما عاش البدو في الصحارى. وقد ملك البدو الخيل وركبوها في غزواتهم، لكنهم تجنبوا الجبال خوف أن يفقدوا طريقهم في شعاب الجبال. ولسبب ما، فقد غزا البدو اليهود في الجبال... وحين وصلوا إلى سهل محاط الجبال، عثروا على خيام كثيرة لليهود. وأمام الخيام كان هناك حيوانات غريبة لم يروها من قبل. كانت هذه هي الجمال، التي يسميها البدو الإبل» (2).

وهذه الأسطورة صدى لحقيقة ارتباط اليهود الميثولوجي بالجمل.

إذن، فنبوة اليهود على علاقة بميكائيل والجمل، في حين أن نبوة المسلمين والمسيحيين مرتبطة بجبريل وبالحصان والحمار. فقد دخل المسيح القدس على ظهر حمار، كما جاء في إنجيل لوقا: «وأتيا به إلى يسوع، وطرحا ثيابهما على الجحش، وأركبا يسوع» (لوقا 19: 35). أما في إنجيل يوحنا فجاء: «وجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب» (يوحنا 12: 14). وجملة «كما هو مكتوب» تشير إلى ما جاء في سفر زكريا في العهد القديم: «قولوا لابنة صهيون: هو ذا ملكك يأتيك وديعاً، راكباً على أتان، وجحش ابن أتان» (زكريا 9: 9). أما الرسول، فقد وصل القدس على ظهر البراق. والبراق حسب الغالبية بين البغل والحصان. والبغل خلطة من الحصان والحمار.

بناء على هذا، يجب فهم آيات سفر أشعيا: «فرأى ركاباً أزواج فرسان. ركاب حمير. ركاب جمال». (أشعيا 21: 6-7). فهي تتحدث عن تعاقب طرازين من النبوات. فهناك نبوة ركاب الحمير مثل نبوة المسيح، وهناك نبوة ركاب الجمال. وقد افترضت النصوص الإسلامية أن ركاب الجمال إشارة إلى نبوة النبي محمد. وهذا غير صحيح. فالرسول مرتبط بالبراق.

المصادر:

(1) في: هشام جعيط، هوامش على كتاب «تاريخية الدعوة المحمدية في مكة»، الأوان، الثلاثاء 28 حزيران 2011).

(2) Jabbur, The Bedouins and the Desert،1995، Cited in: THE CAMEL ANCIENT SHIP OF THE DESERT And the Nabataeans، http://nabataea.net/camel.html

* شاعر فلسطيني